الى القارئ

إن حسن حسني عبد الوهاب المؤرخ والأديب لم يمت ؛ لم يأت العدم إلا على جسمه النحيل المتداعي ولم تتلاش منه إلا المادة التي طالما راضها وسخرها لنشاطه الفكري الطويل النفس وأنهكها بطول السهر والمداومة على الدرس !

إن روح الاستاذ عبد الوهاب حية في كل من عرفه وأنس بأدبه ولطفه ، حية في ذاكرة تلامذته ومريديه الذين أخذوا عنه حب البحث والشغف بتاريخ هذه البلاد واستمدوا منه الايمان بأصالة الحضارة والمدنية بتونس أو بافريقية ـ كما كان يفضل ان يقول ـ ، حية في نفوس الذين يؤثرون وقف حياتهم القصيرة على تصفح كتاب الوجود اللامتناهي فيضيفون أعمارا الى أعمارهم بالادبار عن الملاهي والشواغل العرضية والاقبال على عناء الدرس ومعاناة البحث والولع بالكتب والتعلق بالجوهر دون الاعراض وبالحقيقة دون الاوهام .

واذا كان ما ألفه الفقيد من كتب وما حققه من مخطوطات مرجعا للباحثين ومكتبة يستمد منها رجال الفكر والادب ، فان حياة عبد الوهاب تصح أن تكون مثالا حيا للاجيال الصاعدة التي هي في حاجة الى « النموذج » الذي يحتذى به في دنيا الادب والتاريخ والفكر بوجه عام . فعسى ان يعتبر جيلنا والاجيال الصاعدة بجهاد الفقيد وان يخلصوا لروحه بالجهد والجهاد والكد العلمي فيصبح منهم العزم على معرفة حضارتنا ودرس تراثنا والتعريف بأمجادنا والحرص ـ خاصة ـ على زرع الثقة بالنفس والافتخار بالانتساب الى هذا الوطن .

وإن ما ناله المرحوم حسن حسني عبد الوهاب من شرف وتقدير ومحبة في حياته سواء بتونس أو بكافة بلدان البحر المتوسط ومنحه الجائزة التقديرية للسيد رئيس الجمهورية ، وإجماع المثقفين ورجال الفكر بتونس على التنويه بأبحاثه والثناء على مجهوداته وما أحدثه موته من أسى ولوعة في كافة الاوساط ... ان كل ذلك لما يقوي الثقافة القومية ويعمق روح التضامن والتعاضد بين كافة رجال الفكر والادب لأن الدليل يكون قد أقيم مرة أخرى على أن الأمة وفية لمن عاش على الوفاء لها والاخلاص لأخلص قيمها .

رحم الله حسن حسني عبد الوهاب وجازاه بقدر ما أحب هذه الارض والهم شبابنا مزيدا من محبة الوطن والتفاني في خدمة ثقافته وإشعاع حضارته .

الفكر

الى حامي الفكر

شعر : محمد الشعبوني

القاها الشاعر بمنزل شاكر بين يدى الرئيس الجليل ـ مساء 15 نوفمبر 1968 ـ

يا حامي الفكر زدت الفكر تنويرا ... وكنت حررته بالامس تحريرا
كانت بلادي انفاسا مقطعة ... والجهل أوهنها ضعفا وتخديرا
كانت بلادى والعادات خانقة ... تشكو جمودا وتضليلا وتقصيرا
ان قام فى بلدى صوت ينبهنا ... رموه بالنقص بل زادوه تكفيرا
قضوا على روحه جبرا لخاطرهم ... وحجروا وصله بالناس تحجيرا
كم مصلح جردوه من شهائده ... وقاوموا رأيه ظلما وتزويرا
وشجعوا حلقة للذكر ديدنها ... ان تملأ الساح تطبيلا وتزميرا
كانت علينا ـ وقاد الخيل قائدهم ... وقال شيخهمو للناس تحذيرا
الله قدر أن تحمى بلادكم ... حكما من الغيب فى الالواح مذكورا
ومن يساند الله فى حكم وفى قدر ... فليس ذنبه عند الله مغفورا
كانما الفكر لم يبدعه خالقنا ... ليبدع الناس فى الميدان تفكيرا
ان المآسى التى كانت بتونسنا ... العقل حولها نورا وتنويرا
قد كانت البنت فى الاركان ظاعنة ... تسام بالمال توريدا وتصديرا
من بيت والدها للزوج خارجة ... وليس من حقها ان تشهد النورا؟
تحيا مع الزوج لا تدرى خصائصه ... فى ازمة تشتكى هما وتكديرا
وان شكت حظها يوما فان له ... فى غيرها ما يزيد الجو تعكيرا
والله لم يودع القلبين فى رجل ... حتى يعيش بقلب ظل مشطورا
وساء مجتمع دكت أواصره ... وزاده الجهل تقويضا وتغريرا
وان تألمت قالوا انه قدر ... وكان ما قدر الرحمان مقدورا
باسم الديانة هانوا الفكر واجترموا ... وحرموا البحث والتنقيب والشورى
فالوقف عندهم ما جر منفعة ... والعلم ماجاء فى الاسفار مسطورا
والدين يشهد فى صدق بواقعه ... دين يقرر حكم العقل تقريرا
فى النحو أشغلنا زيد بمعركة ... يواصل الضرب ما ينفك تدميرا
تفنى الجموع وما تفنى عصاه ولا ... أتاه من رده فى الحال مدحورا
والصرف لامية الافعال نحفظها ... ما انت والصرف ان اخطأت تصغيرا
والفقه ان لم يكن نقلا بلا حجج ... ما نال صاحبه فضلا وتقديرا
أما الحساب فدع علم الحساب الى ... يوم القيامة ترقيما وتصفيرا
والعدل عندهم قربى ومزرعة ... وان تصعر الخد فى التسيار تصعيرا

والفـن عنـدهم كفـر بلا سبب
ولو رأيتهم فى البيت عن كثب
وهذه صـورة جـاءت مصغـرة
والله يعلم انى ما قصدت بهـا
ولست انكر فضل العلم من قدم
يقضى الفتى عمره للدرس منقطعا
حتى أتى منقذ الخضرا على قـدر
لم ينتظر امرهم بل هب فى شمم
وصـاح صيحته الكبرى فهزهم
وعاد للدين ما للدين من مثـل
والمصلحون كثير فى الحمى عرفوا
وكم لهم من اياد بيننا شهـدت
هذا الذى حرك الايمان فى رجل
وكرم العلم فى شخصين قد عشقا
وتلك يا سيـد الخضراء مأثـرة
وكم لعطفك من فضل على وطن
ان كان فى الوقف ما اودى بتربتنا
واليوم جناتنا أغصانها ازدهرت
وافترت الارض عن ماء وعن بسط
والبنت حررتها فاشتد ساعدنا
والسيد الآمر النـاهى بغلظتـه
قد هزه الوعى فاستصفى مصادره
والجيش اصبح منا لحمـة ودمـا
والعلم اضحى مع الايام مدرسة
قد جددت طرق التعليم واتحدت
والجامعات وقد شيدت منابرها
من واقع الشعب قد خطت مسيرتها
ماذا اقول وما صوتى بمنطلـق
حررت قلبى من ضيق ومن ألم
وعشت والقلب مكلوم بلا أمل
لولا يـداك ولولا لفتـة شرحت
اليك يا حامى الآداب فى وطنى
عهدا على الصدق والاخلاص يلزمنى

ان صغت اغنيـة ـ ان رمت تصويرا
رأيت ما أنكروا بالعين منظورا
لحالة عشتهـا بالامس مقهـورا
تشويه ما فعلوا او رمت تحقيرا
لكنهـا طرق لم تلـق تطـويرا
والفكر يبقى رهين النقل مأسورا
وسخر العمر للاصلاح تسخيرا
يطهر العقـل مما ران تطهيـرا
وأمن الشعب تهليـلا وتكبيـرا
قد حاولوا طمسها زيفا وتنفيرا
للعقل قيمتـه نقـدا وتحويـرا
بعمق ما قدموا للجيل منشورا
من همه ان يظل الفكر منصورا
منذ الفتـوة تحليـلا وتفسيـرا
يبقى بها الفضل عند الله مأثورا
بعثت فى شعبه روحا وتفكيرا
فاليوم ارض الحمى تختال تشجيرا
وكان غصن البها بالامس مهصورا
اضحى بها السائح الجوال مسحورا
وعاد صوت الفتاة اليوم مذكورا
من عد نصف الحمى ظلما قواريرا
وعاد للرشد مأمونـا ومسرورا
والشعب آزره ـ واعتز مغفورا
يسمو بها الدرس تقييما وتنظيرا
واصبح النهج مقبولا وميسورا
تـرقى بابنائها علمـا وتبصيرا
لعـزة الشعب تنظيما وتسييرا
لولا هداك هدانى القول تعبيرا
وكنت قبلك فى الاوطان مغمورا
وكدت اقضى شباب العمر مهجورا
قلبا بحبك ظل ـ الدهر ـ معمورا
عهدا من الله لا اثمـا ولا زورا
عهدا من القلب مختوما وممهورا

محمد الشعبونى

المعلم المثالي

بقلم : محمد مـزالي

الكمال غاية تطلب ولا تدرك (1) وليست قيمة الانسان الا فى مدى وصدق المساعى التى يبذلها فى سبيل الدنـو من الكمال وتعهـد النفس بالمراجعـة والمحاسبة والتزكية لاعلاء شانه والرفع من منزلته والسيطـرة على الاشيـاء والاهواء ومزيد القدرة على تحقيق المثل العليا التى يؤمن بها ويجعلها مرجعا فى حياته وشاهدا عدلا على اعماله ·

وعلى هذا الاساس لا يمكن ان نتصور معلما كاملا فى هذه الدنيا بل الذى يمكن تصوره وايجاده هو المعلم **المثالي** ·

ولا يكون مثاليا الا **المعلم المربي** اى المعلم الذى لا يفصل بين التعليم والتربية ويتوقف ذلك على شروط اهمها :

1) الايمان بان التعليم رسالة :

ليس التدريس مهنة كغيرها من المهن يتعاطاها المواطن لكسب قوته والتامين على حياته بل هى رسالة سامية تتمثل فى تلقين الطفل جملـة من المعلومـات والمبادىء التربوية والاخلاقية واعانته على تحقيق ما هو مفطور عليه من ذكـاء وعلو همة وطموح وتدريبه الى اكتساب شخصيته وانماء تجاربه وتأهيله الى ان يكون مواطنا صالحا وانسانا انسانا ·

وعلى ذلك فالمعلم كالطبيب مطالب بألا يخطى فى الحكم او فى العلاج كـى لا يسمم روح الطفل او يمسخ شخصيته الناشئة ·

---

(1) وجهت جريدة «القنال» الغراء التى يديرها الاديب المناضل صالح الدريدى سؤالا الى عدد من المثقفين والمربين بتونس عن ماهية المعلم الكامل · وقد أحببنا ان ننشر جواب السيد محمد مزالى تعميما للفـائدة · (راجـع « القنال » عدد 20 الصادر ببنزرت فى 3 أوت 1968) ·

وهذا يقتضى من المعلم شعورا مرهفا بمسؤوليته وعناية فائقة ـ الى جانب التعليم بمعناه الضيق ـ بالاخلاق اى بتنمية جانب الخيـر فى الطفل وايقاظ ضميره وصقله كى يقوى على مغالبة النفس الامارة بالسوء ويراض على تبين الواجب والاضطلاع به ٠

2) الايمان بان التعليم تعلم متواصل :

اى الا يعتقد المعلم انه بلغ المستوى الاعلى واصبح فى غنى عن تعهد نفسـه واستكمال علمه ، بل عليه ان يتذكر دائما ان الثقافة ليست بضاعة اذا حصل عليها المعلم فقد فاز بكل شيء واصبح قادرا على ان يحيا طول عمره على هذا الزاد وبفضل « راس المال » الذى اكتسبه واختزنه ايام دراسته ٠

ان الذى لا يتقدم بعلمه ولا يتحسن لا يبقى فى مستواه بل يتقهقر ؛ ثم ان دائرة العلوم والمعارف تتسع يوما بعد يوم والطرائق تتطور وتتجدد باطراد بل ان علوم النفس والاجتماع والتربية ٠٠٠ جددت العديد من المفاهيـم وادخلت الكثير من الاسـاليب الثـورية فضـلا عن الوسـائل السمعيـة والبصـرية والتكنولوجية وغزو الفضاء والاكتشافات الحديثة المدهشة التى زلزلت العادات العقلية القديمة وبدلت نظرة الناس للكون واخذت تغير من مفاهيم الحضارة المعاصـــرة ٠

واجب المعلم حينئذ ان يتفاعل مع عصره ويثرى تجربته وينمى معلوماته كى لا « يجود » على تلاميذه بأشياء وفى أساليب يدركون رغم صغر سنهم ان الحياة تجاوزتها بفضل ما يرونه على شاشة التلفزة والسنما وما يسمعونه فى الاذاعات وما قد يطالعونه فى الجرائد والمجلات ٠

فالمعلم المثالى متعلم متتلمذ دائما وطموح باستمـرار الى ان يتفـاعل مـع عصره ويظهر امام تلاميذه فى مظهر لائق بمنزلته لديهم وثقتهم فيه واعتمادهم عليـه ٠

3) الايمان بان التعليم اصالة :

اى الا يكون التعليم منفصلا عن بيئة التلاميذ وحضارتهم او متنكرا لمقومات الامة التى ينتسبون اليهـا والارض التى يحيون على اديمهـا والشعب الـذى يتضامنون معه فى الحال والاستقبال والمصير ٠

والمعلم المثالي هو الذي يسعى دوما الى تأصيل تلاميذه في محيطهم فيحبب اليهم تاريخهم ويعلمهم كيف يستخلصون منه العبرة لحاضرهم كما يعلمهم خصائص بلادهم وكفاح شعبهم وبطولاته وحياة ابطاله وزعمائه وينشئهم على الاعتزاز بادبهم ويروضهم على اتقان لغتهم العربية ومحبتها ويؤهلهم الى ادراك قيمة القداسة ومعنى الروح والايمان بالدين الاسلامي وتعاليمه السمحة ومقاصده السامية وحكمته الجامعة بين حرارة العاطفة البناءة وثورة العقل الخلاق ، بين السمو عن الادران والاعراض والجهاد في هذه الدنيا ويعلمهم ان الايمان علم وعمل وان قيمة الانسان فيما سعى وفي مدى خدمته للغير وضم جهوده لجهود امثاله في وطنه الاصغر ووطنه الاكبر تحقيقا لمجد الانسان ومساهمة في بناء عالم مبرإ من الظلم والقهر والشر متعلق بالسلم والاخاء البشري .

كل ذلك بالطريقة الملائمة المناسبة لسن التلاميذ حتى لا يستوعبوا المعلومات المجردة فقط بل يتفاعلوا كذلك مع الروح التي يوفق المعلم المربي الى بثها في نفوسهم الغضة واشاعتها في محيطهم التعليمي والاجتماعي .

4) الايمان بان المعلم مواطن فاضل قبل كل شيء :

اي الا يشعر المعلم بان رسالته تنتهي بمجرد مغادرته المدرسة بل عليه ان يندمج في مجتمعه ويشاركه همومه وآماله ويمارس حقوقه ويضطلع بواجباته ويتأثر به ويؤثر فيه ويجد ويكد وينشط كي يخلق الظروف الملائمة لمشاركته الفعالة في الحياة الاجتماعية ويحتل المنزلة التي يستحقها ويلعب الدور الذي يقدر عليه .

بذلك يكون المعلم المربي مثاليا في المدرسة وفي المجتمع ويستطيع ان يؤثر في التلميذ داخل القسم وخارجه وبذلك يكون خلق الجو المناسب لاجراء حوار متواصل بناء مع اولياء تلاميذه ومختلف المسؤولين ويسر ايجاد الظروف المؤاتية كي يؤدي وظيفته كاملة .

هذا يقتضي منه قوة الشخصية وقدرا كبيرا من الثقة في النفس وفسحة واسعة من الامل والتفاؤل وقوة على الاقناع والتأثير .

ولكن المعلم المربي الحق ، المؤمن برسالة التعليم ، المتعلم دوما ، الاصيل في علمه وعمله ، المواطن الصالح ، في مقدوره رغم الصعوبات ورغم قلة الوسائل وعسر العمل ان ينهض في امانة وشجاعة بما وقف حياته عليه حينما اختار مهنة التعليم والتربية وان يظفر براحة الضمير وبنخوة العظمة .

محمد مزالي

القصيدة الاخيرة

شعر : زبيدة بشير

جرحان في كبدي يستنزفان دمي
يمزقان الحشا تمزيق منتقم
جرح خلقت به لم ادر خالقه
وجرح جرى على الاخفاق والندم

* * *

يا سائلي عن شبابي كيف انفقه
في الصمت والسهد والحرمان والألم
خل الملام فانني لست اقبله
لا لوم الا على الاقدار والقسم
فكل جرح مع الايام ملتئم
ولم يزل جرح قلبي غير ملتئم
رضيت للنفس عبئا لا انوء به
وسرت اطوي طريق الخوف والظلم
اخفي عذابي اباء ... لا أبوح به
كتمت سري ولكن .. خانني قلمي
فزعت للوهم على الوهم ينقذني
فعدت أحمل عبء اليأس والسأم
والحب ما كدت امضي في مسالكه
حتى أصاب شباب القلب بالهرم
طاغ رماني بخطب غير محتمل
قاومت طغيانه فاشتد بي سقمي
يا رب ان البلايا مزقت كبدي
وقسوة الدهر توهي أصلب الهمم
لا خير في العيش والايام مدبرة
ما دام في ذاته ضربا من العدم !

زبيدة بشير

2/10/68

الادب الشعبي ودوره في تجديد القرائح

بقلم : الطاهر قيقة

إنّ(*)ما تمتاز به اعمالنا في هذه الفترة التي يتحكم فيها شعبنا في مصيره هو انها تعبير عن نزعة عارمة تدفعنا الى تجديد متواصل بجميع أوضاعنا نواجهها في حماس دون ان يصدنا عن ذلك أيّ مركب من المركّبات .

وإن مصدر ذلك – على ما أعتقد – ميل المغاربة بصورة عامّة والتونسيين بصورة أخصّ منذ قديم العصور الى تسليط الرأي النافذ الممحص الناقد دون هوادة ولا وهن على طرق التفكير ومظاهر السلوك واساليب الاعمال والى نفور جبلي من الطرق المعبدة والى تفتح وتطلع الى كل ما يجدّ داخل المجتمع وخارجه من احداث حضرية تجبر على تعديل الاتجاه .

وتكاد تكون النزعة الى التجديد في يومنا ايضا اهمّ ميزة يمتاز بها الشعب التونسي . نجدّد في حماس وثبات ونظام بنياتنا الاقتصادية واوضاعنا الاجتماعية واختياراتنا الثقافية .

ولكن بدل ان تكون النزعة الى التجديد ظاهرة فردية تتبلور عند بعضهم حتى تصبغ شخصيتهم بطابع فذّ وتبقى عند بعضهم ميلا مجرّدا عن السلوك والاعمال اصبحت في هذه الفترة التى نعيشها محرّكا لمجتمع بأسره . فنزعة التجديد هذه شاملة تدفع الى العمل الرتيب المنظم

لقد علّمنا حزبنا الذى نشأنا فيه وعلّمنا زعيمنا الذى استوحى من القيم الثابتة لشعبنا ومن عبقريته الفريدة فلسفة حياتية وطريقة سلوك أن اساس حركة التجديد عقل متطلع سابر حرّ لا تعرقله القيود مهما

(*) نص محاضرة القيت بمحضر السيد رئيس الجمهورية يوم 29 جويلية 1968 بمناسبة انعقاد ملتقى هواة الادب بالمنستير .

كان نوعها وحساسية مرهفة تحس بتطوّر الاوضاع الحيّة بمفعول مرّ الزّمان وسير الحضارة .

ان نزعتنا الى التجديد المتواصل عمليّة حرّة طليقة تجعلنا ، على غرار رئيسنا ، نقيّم دوما ما نقوم به من اعمال فننقده ونصلحه . فنسبق بذلك أحيانا حركات الرفض واعادة النظر في الامور التى تهزّ المجتمعات الانسانية في عصرنا هذا من أثر التقدم السريع للعلم والتكنولوجيا وما يجرّه هذا التقدم حتما من تأثير على الاوضاع الاجتماعية والثقافية

هل تتسم الحركة الادبية الحالية بطابع التجديد ؟ أظن أن بوادر الابتكار والتجديد بدأت تلوح خاصّة فيما ينتجه الشبان ولكن يبدو لي في نفس الوقت ان الادب التونسي المعاصر لم يتخلص في كثير من انتاجه من آفة التقليد ، تقليد التعابير والقوالب القديمة او تقليد طرق التعبير الاجنبية عربية كانت او اروبية . كأن جلنا يخشى الابتعاد عن الطرق المعبدة وعما تعوّدنا تذوّقه او وقع استيراده من الخارج فراجت سوقه في البلاد وخارجها .

نحنّ الى بروز ادباء غزاة يستكشفون طرقا جديدة في التعبير الادبي هي وليدة مغامرة فردية او محنة شخصية لان التجديد الحقيقيّ لا يتمثل في محاكاة الادباء المعاصرين الافذاذ ولوكانوا ادباء طليعة .

ولا يمكن أن تندلع محنة شخصية خلاّقة الا اذا أعاد الكاتب اكتشاف أصالة قومية بنفض الغبار الذى تكدّس عليها وازالة الملابسات التى غشيتها من اثر تقلبات الظروف التاريخية والحضرية . وبقدر استرجاع الاصالة يكون التفتح للقيم الانسانية التى تجد صداها في نفس كلّ انسان مهما كانت مشاربه وتهب الاثر الفني مستواه العالمي الرّفيع .

وقد يكون الاطلاع على الشعر الشعبيّ المطبوع وتذوّقه عاملا من العوامل التى تصقل قرائح الكتاب المعاصرين وتجعلهم في آن واحد مطلعين على أصدق مظاهر حساسية شعبنا ونازعين الى خدمة قيم انسانية ثابتة أشاد بها الشعر الشعبي ، لان كل تعبير فني صادق يرتقي الى مستوى الفن الانساني العام .

ولكن عملية الغوص والاستكشاف هذه لا تنجرّ عنها فوائد الا اذا كان الاديب حسّاسا ذا ذوق وتمييز يجعلانه يـختار ويصطفى فينتقي الدرّة النفيسة ويرمى بالبزر والصدف .

لنذكر أن الموسيقى الكلاسيكية الالمانية انبنت على اصطفاء بعض الالحان الشعبية لتطعيمها وترقيتها وان الادب الشعبى الاسبانى او الامريكي قد كان قوام أديبين اصيلين هما لوركا الاسبانى وستاينبك الامريكي .

ويمكن أن يلعب الشعر الشعبي التونسي بالنسبة الى بعض كتاب مبتكرين نفس الدور الذي لعبه الشعر الشعبي الاسباني بالنسبة الى لوركا مثلا .

غايتي في هذا الحديث اطلاعكم على عينات من الشعر الشعبي في اغراض مختلفة اصطفيتها لقيمتها الفنية .

* * *

ان الغزل فى الشعر الشعبي ابتلي بآفة التقليد : انطلق الشعراء من انموذج جاهلى يرجع عهده الى إمرىء القيس وطرفة وغيرهما يعتمد وصف عضلات المرأة عضلة عضلة . فتعدّدت في الشعر الشعبي قصائد وصفية برّاقة جامدة هي على السن كثير من الناس ولا ينتمى أكثرها ، في — نظرى — الى الفن بصلة .

وقلما التفت الى قصائد قليلة قلة النفيس من الاشياء تعتمد الايحاء وتعرض عن الوصف المجزأ وتعمد الى الحركات فتوحي بها وتجتنب الاقتصار على ما يرى لتركز على ما يحس به في الاعماق .

هذه قصيدة من نوع المسدس قالها شاعر مجهول من أولاد عيار رشيد بخد صالحة حبيبته وبقدها مجددا للطريقة التقليدية وفاتحا لآفاق جديدة في الغزل :

خَـدْ صَالْحَـه بَـرْقْ عَـقْبْ الشْـهَرْ
زْهِـي فِـي النْظَرْ
قَـدْ صَالْحَه سَرْوْلَه فِـي قْـصَرْ

خـَدْ صَالْحـَـه بَرْقْ عَقـْبِ العَشِيَّه
لـْعَـجْ بَانْ ضَيَّه
قـَدْ صَالْحـَه سَرْوْلَـه فِـي الشَّنـيَّهْ
جُـوف صَـالْحَه شَاحْبَـه سَاطْنِيَّه
نْـهَـارِ الخـْطـَرْ
يِـدَاوْرُوا وْرَاهَـا مْقَـاصِيـرْ العُمُـرْ

خـَدْ صَالْحَـه بَـرْقْ وَقْتِ انْ يْـتِيفْ
وَرَعْـدَه حْمِيفْ
قـَدْ صَالْحه سَرْوْلـه عَـلَى الطْـرِيـفْ
رِيـفْ صَالْحَـه مِـثْلْ تَمْرِ العَـلـِيفْ
شـَي مُعْـتـَبـَرْ
بِهْوَاكْ يَا البِـنْتْ قَـلْبِـي انْضَـرْ

خـَدْ صَالْحَه بَرْقْ وَقْتْ انْ يِنْلـِيح
وَرَعْـدَه كْسِيحْ
قـَدْ صَالْحَـه سَرْوْله يُـسُومْ رِيـحْ
يَـا صَـالْحَـه لاَشْ قَلْبِكْ كْسِيـحْ
مْثِيلْ الـحْجَـرْ
آشْ بِيكْ سَاكْتَـه مَـا تْرُدّي خْـبـَرْ ؟

محور هذا المسدس من الناحية العاطفية هو الشعور بالحيوية العارمة عند المرأة التي يحبها الشاعر تلك الحيوية التي توحي بسطوة الطبيعة إذا غضبت فبعثت فى قلب الانسان الضعيف الفزع . وهكذا نرى شاعرا بدويا مجهولا يمزج بين التغزل ووصف الطبيعة والايحاء بجو الملاحم بتشبيه صالحة بفرس شاحبة يوم معركة :

جُوفْ صَالْحه شَاحْبَه سَلْطْنِيَّهْ
نْهَار الخْطَرْ
يِدّاوْرُوا وْرَاهَا مْقَاصِيرْ العْمُرْ

ولكم تذكرني هذه القطعة لوحة من لوحات فان ڤوف «Van Gogh» الشهيرة رسم فيها اشجار السرول وقد هبت عليها ريح عاصفة فبدت في حركاتها كأنها ألسنة من نار خضراء.

هذا شعر حي متحرك في عنف يهز النفس هزا ، وان لم يكن وصفيا بالمعنى المعهود بل أن ما يصوره من حركة تعنف شيئا فشيئا و ما يوحيه من معاني الرجولة الممزوجة بالرقة يجعله يرتقي الى منزلة الشعر الانساني الذى قد يؤثر على أناس ينتمون الى حضارات غير حضارتنا .

لقد بدت المراة لشاعرنا من أولاد عبار باعثة للفزع تودى بالحياة وبالمصير . وهنا التحق الشاعر المطبوع بمنزلة كبار شعراء الانسانية ، بشاعر التوراة اولا الذى قال في نشيد الاناشيد :

أنت جميلة ، يا حبيبتي ، كجيش زاحف

وبهوميروس الذى غنى « هيلين مدمرة الاساطيل » وبسافو الشاعرة اليونانية التي عاشت بجزيرة لزبوس في القرن السادس قبل الميلا د والتى قالت من قصيدة عثـ على بعض أبيات منها :

« يرى بعضهم أن أجمل شيىء تقله هذه الارض الدهماء كوكبة من الخيل او فيلق من المشاة . ويرى بعضهم ان أجمل ما في الدنيا اسطول من السفن . اما أنا فاني أرى ان أجمل شيىء في الدنيا في نظر كل احد هو الحبيب الذى يهواه .

أناكتوريا ذات المشية الفاتنة والوجه الوضاء تبعث في نفسي — اذا شاهدتها — فرحا أعمق من رؤيتي جميع عربات ليديا المصفحة وعساكرهم الزاحفين وقد كساهم الحديد .

هذه الابيات لسافو التي تمزج بين الشعور بالروعة أمام المرأ

الجميلة والشعور بالفزع أمام الجيوش الزاحفة والاساطيل المنقضة تنتمى الى دنيا من أحاسيس شعوب عرفوا بطولات البر والبحر معا .

* * *

وهذا يجعلني الفت النظر الى نوع من الشعر يكاد يكون مفقودا في الشعر العربي الفصيح وقد غلبت عليه مظاهر البداوة وهو ذلك الشعر الذى يغني جمال البحر و روعته وجمال السفن في اشكالها المختلفة وفي حركاتها اذا أقلعت او أقبلت أو انقضت فاتكة وبطولات رجال البحر وأبطالها.

ان الشعر الشعبي التونسي يحسن التعبير احيانا عن الحساسية البحرية يقول شاعر مجهول من قصيد أقتبس منه بعض ابيات :

خَلَّيتْ نارِي فِي الْحَشَا مَرْسُومَه
وْلِيَّعْتْنِي بِهْوَاكْ يَا فَطومه
صَـــــابْ جْمَاعَـــــه
هَكَّاكْ نَاعْ الرِيمْ زِينْ قْنَاعَه
قَدْ مَرْكَبْ كِيفْ حَلْ قْلَاعَه
بَوَّجْ عْلَى مُوجِ الْبْحَرْ بْنَسُومه
القَدْ مَرْكِبْ مْحَرَّبْ
زَايِزْ بْحُورِ الزْخِيمَه
بِمْدافِعْ الكُورْ يَضْرَبْ
مِنِ الرُومْ جَايِبْ غْنِيمَه
لْنُوكَرْ رَوَّحْ مْسَرَّبْ
هَكَّاكْ هَزْعَتْ فْطِيمَه
جِتْ تِتْرَشَّق
القَدْ يَظْهَرْ فِي مْثِيلْ السَنْجَق
وَجْبِينْهَا مِثِلْ البَرْقْ يَخْفَقْ
تَبْلَجْ لَعَجْ غَطَى القْمَرْ ونْجُومه

تلك هي صورة من مشاهد شاهدها شعبنا مدّة قرون متاولية وهي عودة سفن الأبطال الغزاة من المغاربة والاندلسيين المهاجرين والاتراك الى الموانى المغربية وهي محملة بغنائم معارك في البحر والخلجان ومضايق الجزر او غزوات في الضفة الشمالية من حوض البحر الابيض المتوسط .

ولعل اروع ما عثرت عليه من الغزل البدوي العنيف الذى له طابع الاصالة بايحاء بطولة البر والبحر معا هو هذا القصيد من نوع القسيم :

إنْتِ زِينَه وزِينِكْ عُشَّاقْ
شَحِّيتْ بِالرِيمْ الرَّقْرَاقْ
زِينَكْ مَعْشُوقْ
إنْتِ قَمْرَه تِضْوِي مِنْ فُوقْ
شْلَعْ خَدّكْ تحْتِ البَخْنُوقْ
لْعَجْ وَمَّى نوْعْ البَرَّاقْ
المِسُوعَه عِنْدِي تَضْيَاقْ
زِينِكْ مَتْمُومْ
إنْتِ قَمْرَه وَالنَّاسْ نْجُومْ
إنْتِ الذْهَبْ الغَالِي فِي السومْ
مْشَحَّرْ يِنْبَاعْ بِالأَوْاقْ
هَلْعَه وَجْبِينْ وَخَرْطُومْ
وْمَضْحَكْ وْ شْفَايِفْ وارْمَاقْ

∴

زِينِكْ مَشْهُورْ
شَحِّيتْ عَ الرْكَّازْ الفُورْ
لْفِي قَدّكْ نوْعْ البابُورْ
سِرْعْ بَوْجْ رَافِعْ الاوْسَاقْ
عَيُونِكْ مَقْرُونْ سْبَنْيُورْ
مِنْ يِدْ فَارِسْ عَ الفَارِسْ سَاقْ

زِينِكْ مُهِـــمْ
إِنْتِ حُرَّه وَ النَّاْس عَنْجَمْ
عَلِيكْ هَافُوا الاوْلاَدْ جُمْمْ
وْ تِتْمَلَّجْ وَ لاَمِنْهُ ضَاقْ
حِفْزْ خَدَّكْ رَاوِي بالدَّمْ
تِشَقَّعْ مِنْهُ الاخْلاَقْ

زِينِكْ مَتْحُــوفْ
شَحَيِّتْ عَ الرِّيــمْ العَطُوفْ
غَلِبْ خَدَّكْ مَصْبُوغْ الصوفْ
حَانِطْ وَ الوَشْمَه تِزْرَاقْ
عَلاَّشْ قَلْبِكْ مَا بَاش يِرُوفْ
رَبِّي مِنْ غِيرِكْ رَزَّاقْ

زِينِكْ مَنْعُوتْ
العَاشِقْ مِنْ شَبْحِكْ يِمُوتْ
هَفِي غَشِيشِكْ طَابِــحْ مَمْشُوطْ
هِيقْ جَافِلْ وَاتَاه رَقَّاقْ
امْرَبَّعْ فِي ظَاهِرْ نَالُوتْ
مْصَفِّـي مَاخَتْلَه بِنْدَاقْ

رِينِكْ مُفِيدْ
إِنْتِ حُرَّه وَالنَّاْس عَبِيدْ
إِذَا رِيتِكْ الاوْجَاعْ تَنْزِيدْ
الحِلْوْ يَوَلِّـي تِرْيَاقْ
كِيفْ تَلْقَـى بِالكِيفْ تْمِيدْ
سَرْوَلْ فِي سْوَانِي مُرْنَاقْ

زِينِكْ مَبْدُوعْ
إلِي شَافِكْ رَوّحْ مَفْجُوعْ
مَلْيُوعْ يِنْغَرّدْ بِدْمُوعْ
مَرْسُوعْ السَّالِفْ وَهَّافْ
اخْبَارْ قَلْبِكْ مَاعَاطِي طُوعْ
النُكْرَه بَعْدَ الحُبْ طْلاَقْ

زِينِكْ فَتَّان
شَحَّيتْ عَ الرّيمْ الغُزْلان
فُزْتْ عَ الصَفْ النِسْوانْ
غْلِبْتْ بُو جِلْجِلْ وِ حْمَاقْ
مِنْ مِصرْ لْفَاسْ لْفَزّانْ
تْزَعْزَعْ مِنِّكْ الاوْجَاقْ

* * *

هذه النظرة التي تجعل من الحب الذى ياخذ بمجامع قلْب الانسان قدرا مسلطا عليه ينبغي أن يواجهه بما أوتي من قوة وثبات هي نفس نظرة الشاعر الشعبي التونسي اذا غنى المعارك الطاحنة ، هذا أحدهم يصف معركة :

رْسَمْ سُوفْ فِي مَسْدا رَقِي بَارُوده
عِنْدِ الضْحَى كَثّْحْ عْجَاجَة نْكُودَه

نْهَارْ يْمَرّضْ
نْهَارْ فِيه تِفتَافْ الثْقِيلْ يْقَرّضْ
نْهَارْ فِيه الاوْلاَدْ المْلاَحْ تِتْعَرّضْ
تَعْرِيضْ هَايِجْ يِتْنَقّلْ فِي ذُودَه

نْهَارْ مْغَايِرْ
نْهَارْ فِيه مُكْثُرْ التْرِيس يْخَايِرْ

نْهَارْ فِيه الاوْلاَدْ المْلاَحْ مْطَايِر
وَ مَاذَا تْهَجْلِتْ مِنْ شَابَّه مَقْدُودَه

نْهَارْ يْشَرّقْ
نْهَارْ فِيه بُو الاشْفَارْ غير يْوَرّقْ
وَلَّى ظْلاَمْ ضَوْ النْهَارْ ادَرّقْ
كَشَّحْ بِينْهُمْ مَا قُودُوا مِنْ عُودَه

نْهَارْ مَاشِي نْفَاله
الواحِدْ ذْوِي مِ البَاسْ وَلَّى حالَه
رْكَحْ كَحْ بِينْ التْرِيس وِالخَيَالَه
رْدِكْ دَكْ بِينِ الخيلْ فِي المجبوده

عْلِينَا رْقِي دُخَانَه
لِيِنْ غَمَّنَا قُدَامْنَا وِورَانَا
مَاذَا خَلَّى مِنْ ابْنَاتْ حْزَانَه
لِلْحُولْ مَا بْرِتْ جْرُوحْ خْدُودَه

كَشَّحْ تْرَابْ العَالِي
رْدِكْ بِينْهُمْ الاسْمَرْ ڤلِيلْ الوَالِي
الحَبْ كِيفْ عْوَارَضْ الشمْلالِي
والحَيِ مَا يْمُوتِشْ بْلا مِيعودَه
وَالرّوحْ وَالمَكْتُوبْ يَا بُو هَالِي
عِنْدَ الإلاه منزله مرصوده

إن التعبير عن آلام النفس من أصعب ألوان الشعر لانه مهدد دائماً بالسقوط فى التشكى أو التصنع والتكلف لصعوبة العثور على النغمة المضبوطة التي تثير ما سكن في جوارح المستمعين أو القراء .

أذكر لكم مثالين : أحدهما من أقوال غومة الذى كافح الاتراك بطرابلس وقبض عليه باى تونس غدرا وسلمه الى الصدر العالى باسطنبول وثانيهما شعر قالته امرأة تنتحب وهي ترحي الشعير .

قال غومة عندما أسر وأقلعت به السفينة من تونس متجهة الى اسطنبول وهو الثائر البدوي الذي وقع في الشرك .

زُزْنَاهْ خَطْ بْخَطْ كِيفْ النِيلَه
تْرَكْنَاه وَطَنِ العِزْ وِمْرَاحِيلَه
زُزْنَاه بَحْرِ المُوجَه
وِالّي حْصَلْ يَصْعَبْ عْلِيه خْرُوجَه
يُوفُوا أيَّامْ السِّجْنْ وَامَّاجِيلَه
وِالّي يَظْهَرْ لِلْبْسَاطْ يْلُوجَه
وْ مِنْ اسْلَفْ سْلَفْ لاَزِمْ يْوَلّي لَه

إِلّي يِسَلَّفْ الْخِيرْ يِرُدَّه
وِلّي يِسَلِّفْ الشَرْ لاَزِمْ يِوَلّي ضِدَّه
ومَانِي غُومَه نْنجْمَه وِنْقَدَّه
كَسَّارْ فِي الامْحَالْ وِزْمَامِيلَه
نْدَيَّرْ عْلِيهِمْ فِي نْهَارْ الشَّدَّه
مِصْبَاحْ ضَاوِي فِي البْرُورْ فْتِيلَه

زُزْنَاه مِ الابْعَادْى
زُزْنَاه خَطْ بْخَطْ جَاى وْ غَادى
لاَطَبْلْ يَضْبَحْ لاَدْلِيلْ يْنَادِى
وْلاَنْجُوعْ تْهَدَّمْ سْرَايَة خِيلَه
نَا كَمْ سِرْتْهَا بِينْ الحْدِبْ وَالْوَادِى
رَبَّاطْ عَنْ جُرَّةْ بْنَاتِ كحِيلَه

لاَسِرْتْهَا بِهْشَاشَه
وْلاَنْزِلْتِ لْهَا وِينْ لاَفِي النْعَامْ مْعَاشَه
وْنَا كَسَّرْتْ مْحَالْ يُوسُفْ بَاشَا
مِنِّي تِمْشِي كَاسْرَه وِذْلِيلَه
تَمْثِيلْ عْلَى الحَاكِمْ كْمَا الفَتَّاشَه
يْفَتِّشْ وِيَحْكِمْ صَاحْبَه بِالحِيلَه

تَفْتِيشْ حَاكِمْ جَايِرْ
حَصِّلْ غْرِيمَه كَانْ مِنْ حَايِرْ
ضَاعُو البْصَايِرْ مَاوْجِدْتْ دْبَايِرْ
مْشُومْ المَخْطَرْ عَارْفَه حُصِّيلَه
لاَجَابْنِي بْطَنْبُورْ عَسْكَرْ غَايَرْ
جَابْنِي بِخْدَعِ الرّاي وِمْرَاذِيلَه

جَابْنِي وْوَصَّلْنِي
وَحَبِّلْ عْلَى البَايِ حَتَّى لِيِنْ حَصَّلْنِي
وَالسِّيلْ يِغْلِبْ دِيمَا الِّي يْوَنِّي
بَطَّالْ مَاتَنْفَعْ مَعَاه الحِيلَه
تْمَاثِيلْ مَنْ جَابْ الكْلاَمْ يْغَنِّي
وْمَكْتُوبْ مِنْ رَبِّي سْبَبْ تَنْزِيلَه

وقالت إمرأة ترحي :

نَا دَايْ لاَتَقْدَرْ جْمَالْ تْقِلَّه
لَيَّعْ كْنِينِي تَاسَعْ سْنَه بِالهِلَّه

لاَتَقْدْرَه طَاحُونَه

لاَيَقْدْرَه جمْـَل مْنَكْنْبْلاَتْ عيْوُنـَـه
نَا دَايْ لُوصَادَفْ جبْـَلْ تَكْرُونَـه
يْهَدَمْ أَحْجَارَهْ لِينْ يَرْجَعْ تَلَّـه
لاَيَقْدْرَاشِي بَاشَـا
لاَيَقْدَرَه يُوسُفْ مْعَ شَوَّاشَه
يَنْزَعْ لَى قَلْبِي كْمَا الفَتَّاشَا
يْلَوَّجْ عْلَى عِرْشْ الحَيَاه وَيْسلِّه

لاَيَقْدْرَاشِي جَاشِي
لاَيَقْدْرَاشِي رَكْبْ مْسَوّقْ مَاشِي
نَا دَايْ يَا وِلْدِ الصغِيرْ النَاشِي
قَفْلِي بْلاَ مِفْتَاحْ وَاشْ يْحِلَّه

لاَيَقْدْرَاشِي حَاكْمْ
لاَيَقْدْرَه خُوكُمْ مْعَ بَابَاكُمْ
نَا دَايْ لُو صَادَفْ قْلُوبْ نْسَاكُمْ
يِبْدُو يِسِنوا لِينْ يَغْدُوا لِلَّه

ان نحيب السجين وشكوى المرأة من آلام توالت عليها مدة تسع سنوات لهما طابع مشترك يتمثل في الاباء والصبر والثقة في النفس وقبول المصائب بجأش ثابت .

ولأعرف في الشعر العربي الفصيح شعرا يبلغ هذا المستوى من الجودة سوى شعر أبي فراس وبنصيب أوفر شعر عديّ بن زيد .

* * *

ونعثر احيانا في الشعر الشعبي على نوع فلسفي يتناول قضايا مصير الانسان في هذه الدنيا وعبث الموت الذي يقضي على كل شيء دون أن يعي الانسان للموت معنى وتفاهة الحياة اذا لم تكن النفس مؤمنة بالآخرة .

لا أقصد بذلك شعر الامثال والحكم الذي يعج به الشعر الشعبي وإنما أشير الى لون طريف نادر لا يعمد الى ايراد الحكمة وصقل العبارة الموحية الموجزة ولكنه يتأمل ويحلل ويلقي على الكون نظرة سابرة للاغوار حالمة .

يذكر جميعنا مشهد«هاملت» في المقبرة وقد مدّ له القبار جمجمة مضحك أبيه فأمسكها وأدام فيها النظر ثم خاطبها في كلام رائع يعتبر قمة من قمم الادب العالمي :

وا أسفي عليك «يوريك » المسكين .....
يقول الشاعر التونسي البدوي وبه أختم قولي :

اليُومْ رِيتْ فِي الجبَّانه
رَاشِي العَظَمْ وْطَايْحِينْ أسْنَانَه

إنْ كُنْتِ إمْرَا
كُنْتِي شِي صَبِيه
فِي بيتْ بُوك مْخدّره مَحْظيه
وِالاّ مْرَا عَرْبِيّه
تْجِيبْ الحَطَبْ وْ عُورتِك عِرْيَانَه

وِينَه زِينَكْ
وِين الحَاجِبْ وِ الشْفَرْ وْعِينِكْ
يَاهَلْ تْرَى حَافِظْتْ شِي عَلَى دِينِكْ
و سبقت شي لما عليه الآن

وِينْ وْشَامِكْ
وِينْ الحِلْقَة وْ خِلِّتِكْ وِ حزَامِكْ

وِينْ الرّاجل الّي خذاكْ وْسَامِكْ
وْ هوّنْ عليكْ المَالْ فى عدّانه

وَ إنْ كُنْتْ رَاجِلْ
كُنْتْ شِي قَايِدْ
كُنْتْ شِي متوَلّي علي عرُوشْ بزَايِدْ
وَ اليُومْ رَاشِي فِي التْرَابْ وْ بَايِدَ
سُبْحَانْ رَبّي الّي حْكُمْ فنَانَا
كُنْتْ شِي تقْرَا
كُنْتْ شِي تْكَرّرْ فِي أحْزَابْ البَقْرَه
والّي فَارِسْ رَاكِبْ عْلَى شقْرَا
شَايِدْ فِي الاوْطَانْ وِلْدْ فْلانَه

كُنْتْ شِي فَارِسْ
و الاّ طَالِبْ فِي العْلُومْ تْدَارِسْ
وَالْيومْ منفِي فِي القبرْ وْ حَابِس
حتّى لْيومْ نْقَابْلُوا مُولانَا

كُنْتْ شِي ذُو همّه
كَانُوا شِي أهْلكْ يِسْمْعُو لِكْ كلْمَه
وَ اليُومْ حَابِسْ فِي لْحُودْ وْ ظلْمَه
تَرْجَى مِنَ اللّه رَحْمْتَه وْغُفْرَانه

ط. ق.

مأساة الاب نصر الله

قصة بقلم : رضوان الكوني

تحركت الارجل• اتجهت نحو اليمين ، نحو اليسار ، الى الامام ، الى الوراء•

أسرعت الارجل فى المشى ، هرولت ، قفزت ، تباطأت ، وقفت ثم جرت •

وما زالت الارجل تتحرك • تتجه نحو اليمين ، نحو اليسار • الى الامام ، الى الوراء ••

وستظل كذلك •

وما زالت الارجل تسرع فى المشى ، تهرول ، تقفز ، تتباطأ ، تقف ثم تجرى •••

وستظل كذلك •

مثل آثار طابع نصف جاف ، كانت رسوم أرجلهم الصغيرة فوق الرمل تتبعهم الى أن اندسوا فى الحلقة مفترشين غبار ساحة المسجد العتيق،ممرغين سيقانهم فى بياض الرمل المثار تحت جلابيبهم البالية المتهدلة ، مسرحين عقال ألسنهم لتلهج بما صمغ أمامها على الالواح المطينة •

مثل حط الفراش على الزهور ، كانت الارجل البضة الناعمة تمر برشاقة الى البئر • ثم تعود وهى تتلقى ما يطفح عليها من الجرة ، لتبتل وتتلطخ بالرمل الثقيل الذى يملأ فرجات الاصابع •

مثل صلب الحديد ، كانت الارجل الحافية تغوص فى التراب ، تتسلق الصخور ، تدوس الشوك ، تجرح الحجر المذبب ، تقسمه ، تعصر دقيقه — وتنغرس فى الزجاج المكسر المقذوف على الارض ، فتنشرخ ، وينزل منها الدم أحمر قانيا ، ثم أصفر فاقعا ، فأبيض ناصعا ، فأزرق فاتحا ، فأسود ثائرا — مفرقعا فى السواقى التى ما سكنت والمحركات التى ما صمتت ، وفى جذوع النخل الخاوية ، والسوانى الخاليات ، وفى تجاويف الجبال الصامدة ، المحيطة الجاثمة على الابصار •

وتمر الارجل الغليظة ، الحافية ، مكلومة ، دامية ، وتعقبها الارجل المدوسة فى الاحذية المرقعة ، وتتدرج حثيثة ، لاهثة • كانت تصعد الجبل ، وتنحدر من الجبل • كانت كلها تروح وتغدو ، وتنثنى حول كانون الشاى ، وتقف حول أصداء ترانيم متعالية فى الفضاء ، وحول زمجرات سعف النخيل تسترشد اتجاه الريح ونوعه ، وحول انسياب المياه فى الجداول المسمدة ، وحول القبور اثر صلاة الجمعة ، وحول عنز تلد ، وحول امرأة تزغرد ، وحول من يغرس شجرة وحول من يرتقب بروز الهلال ، وحول •• وحول ••

مر وئيدا ، مكدودا • رجلاه عارقتان ، لينتان •

هذه الارجل كم تيبست ، وتشققت فى الشتاء • كم ظهرت عروقها وتمددت عراقيبها •• كم تصلبت آنذاك •

أما الآن فقد أذابتها هذه الشمس اللاهبة •

مر الآن •• وسيمر فى الشتاء متصلب القدمين ، يابسهما •

* * *

انفتحت الاعين ، رمشت ، نظرت نحو اليمين ، الى اليسار ، الى الامام — الى الوراء •• لا شىء غير الجبال الدائرة •

تنكست الرؤوس ثم ارتفعت ممعنة النظر فى السماء •

انفتحت الاعين فلاح بريق ، ولاح صفاء ، ولاح غبش ، ولاح عمش ، فانكمشت ، وعميت ، واستملت ، وانفتحت ، ببريق ، بصفاء ، برجاء فى السماء •

ومازالت الاعين تنفتح ، ترمش ، تنظر الى اليمين ، الى اليسار ، الى الامام الى الوراء •• لا شىء غير الجبال الدائرة •

وسيظل ذلك كذلك •

ومازالت الرؤوس تنكس ، ثم ترتفع ممعنة النظر فى السماء ••

وستظل كذلك •

وما زالت الاعين تنفتح ، فيلوح بريق ، ويلوح صفاء ، ويلوح غبش ، ويلوح عمش • وما زالت الاعين تنكمش ، وتعمى ، وتستمل ، وتنفتح ببريق ، بصفاء ، برجاء فى السماء •

وستظل كذلك ٠

* * *

زغردات النسوة تتعانق متعالية ، تشق الفضاء ، تدعو الناس الى مشاركتهن فرحهن بزواج الابن او البنت ٠ فيكون الغناء عذبا طويلا يحيى ليالى الصيف ويقتل شقاء ايامه ٠ ويكون السهر مع الطبول المرعدة والمزامير الصادحة وقرقعات البارود ٠ ويكون تصفيق جريد النخل وخشخشات سعفه ٠ ويكون نقيق الضفادع وصفيرها وسط احواض الماء الراكد ٠٠ ويكون ترجيع الجبال لاصداء هذه الليالى ٠٠ دائما ، هذه الجبال ترجع الصوت ٠ ولا أحد وراء الجبال يسمعهم فيأتي ليشاركهم فرحهم ٠

ويتمادى الليل رقيقا على نغمات أنفاس نافخة ، مدوية وسط ناى بعيد ويرين الصمت ، ويهجع الكل ، وتموت الشموع ٠

كان هذا ٠٠ ويكون ٠٠ وسيظل كائنا ٠٠

ويمزق الفضاء صراخ امرأة ويتبعه آخر وآخر ٠ ثم تتكاثر الصيحات المرعبة فتنطلق الارجل مهرولة من كل كوخ،من كل خص،من كل بيت قديم حقير٠٠٠ وتقف كل هذه الارجل امام المصيبة ٠ ويلوح الواقفون الحائرون ، بنظرهم هنا وهناك ٠٠ لاشيء أمام أعينهم سوى الجبال الغبراء السوداء ٠٠ فيحولون عنها الى السماء ٠

ويرقبون بكل شغف ظهور قادم اليهم من المسرب الضيق الملتوى بين الجبال ٠

لكن ، بدون جدوى ٠

كان هذا ٠٠ ويكون ٠٠ وسيظل كائنا ٠

وتدوى جلاجل البغال الجارة عربات ثقيلة ٠ تصعد هذه العربات الجبال فارغة ، وتنزل منها محملة بالحجارة ٠ الحجارة التى تنحتها من الصخور العظيمة أيد غليظة تجندل الجبل ، تزلزله ، تؤزه ، تبغى قلبه ٠

قالوا : ان أحدا لا يشعر بنا ، ونحن فى القعر ٠ اذن لنبتن بيوتا عالية نصطنعها من صخور هذه الجبال ، حتى يتسنى لنا أن ندك هذه الجبال وأن نشرف على من هم وراءها ، ونلفتهم الينا ٠

وبدأ الحجر ينزل الى الاسفل حيث يوجدون ٠ وبدأ العمل ٠٠ وتواصل ٠

فى تنور أحد الميسورين بسفح الجبل الغربى كانت الحجارة الصغيـــرة تتقد فى النار ، ويصنع منها الجير الذى يحمل الى اماكن البناء ٠

ويستمر العمل فى نشوة وطرب ٠

نهض عند الفجر ٠ استقبل قبلته ، فاستقام ، وانحنى ثم استقام ، وتثنى وانحنى ٠ وظل كذا الى أن تمتم بأدعية ثم قـام منصرفـا بقـدمين صلبين ، متشققين ، لينين ، عارقين ، وبعينين منفتحتين ، رامشتين ـ ناظرتين الى اليمين ، الى اليسار ، الى الامام ، الى الوراء ، مرتفعتين الى السماء ببريق وصفاء وغبش وعمش وانكماش وعمى ، فانفتاح ببريق ، بصفاء ، برجاء فى السماء ٠

واتجه الى « السانية » ، واتجه الى مركز البناء ، واتجه الى الجبل ، واتجه الى التنور ٠

أخذ مرصفه الثقيل ، وقف على فرجة التنور ، ألسنة اللهب تمتد وسطه ، وأكوام حجارة تصطلى فى قاعدته ٠ بدأ يهز المرصف الثقيل ويهوى به عـلى الحجارة المتكدسة ، يرتبها كى يلقى بها فى الاتون ، ثم بعدها سيتركها تحترق ويعود الى أهله ليذهب طعم النوم بمضغة خبز ورشفة شاى ٠

ووقع المرصف الثقيل خطأ فى فراغ الموقد ، فجذبه معه الى اسفل ٠ واذا به يصطلى نارا ٠٠ واذا به يقفز من حر ما هو فيه ٠٠ واذا به يصيح ويستغيث ٠٠ النار ! ٠٠ النار تأكله ، وهو يصرخ ، والدخان يتصاعد مشحونا بدمه ودسمه المحروق ورائحة لحمه المشوى ، المشتوى ٠٠ وهو يصرخ ، لم يأت احد ٠٠ فى قعر التنور يصيح وهذه الحيطان السميكة تمنع صوته من اقتحامها ووصوله الى آذان الآخرين ، من هم خارج الموقد ٠٠ ويئس ، ونظر فوقه ، نحو السماء وأدلى بالشهادتين ، وتهيأ للموت مؤمنا ، مسلما ٠

وبعد عواء امرأة ، كان القوم قد أخرجوا المحروق بعد معاناة اذ لم يجدوا من اين يمكنون أيديهم منه ٠

روائح شواء ، وزيوت محروقة ، مصطلية ، ودماء تتقاطر على التـراب ، وهيكل ضاعت منه كل لحومه وتناثرت على الحجر والجير والتراب ، ولم يبق سوى عظام معروقة تقطر زيتا أبيض ، ورأس مغلفة بشاشية مرمية فى جرارة صغيـــرة ٠

قالت الرأس من موضعها بالجرارة الصغيرة :

ـ أنا على كل ، مشرف على الهلاك ، لافائدة فى جرى الى الطبيب ٠ سأقضى قبل أن أبلغه ٠

قال احد أقربائه : يا نصر الله ، واجب علينا أن نحملك الى الطبيب ·
قالت الرأس التي احترقت عيناها وأتت النار على خديها :
ـ سيعلمون هناك أن التنور غير مضمون ـ لا ـ لافائدة
ـ وأولادك ؟
ـ يحفظهم الله ، لم يقتلني أحد : صاحب التنور بريء من موتى ·
مات نصر الله ·· ويموت ·· وسيظل يموت ·

ر · ك ·

قال أبو حيان التوحيدي في رسالة لصديق له سنة 400 للهجرة وهو في التسعين من عمره بعد أن أحرق كتبه ما وضع منها وما اقتنى :

« **ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ، ورئيسا مشيبا ، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي اذا نظروا فيها ويشمتون بسهوي وغلطي اذا تصفحوها ، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها ، فان قلت ولم تسمهم بسوء الظن وتقرع جماعتهم بهذا العيب ؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات · وكيف أتركها لاناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد ؟ ولا ظهر لي من انسان حفاظ ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق والى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ويطرح في قلب صاحبه الألم ، واحوال الزمان بادية لعينك بارزة بين مسائك وصباحك وليس ما قلته يخاف عليك مع معرفتك وفطنتك وشدة تتبعك وتفرغك ··· على أنك لو علمت في أى وقت ارتفعت هذه الرسالة وعلى أى حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها يكثر في نفسك وما يصغر منها بنقدك يكبر بعقلك · والله أسأل خاتمة مقرونة بغنيمة وعاقبة مفضية الى كرامة · ولقد بلغت شمسي رأس الحائط والله أستعين على كل ما هم النفس ووزع الفكر وأدنى من الوسواس** » ·

أبو حيان التوحيدي

العرب والعمران بافريقية *

بقلم : حسن حسني عبد الوهاب

هذا جزء من رسالة طويلة بعث بها الى الفقيد حسن حسني عبد الوهاب فى 4 أكتوبر 1967 عندما أطلع على محاضرة لى ذكرت فيها أسباب انهيار الكثير من المدن التونسية بعد الفتح العربي . وقد آثرت أن أطلع القراء على فقرات منها تبين رأى مؤرخنا فى أثر العرب فى العمران بافريقية

البشير بن سلامة

. . . أهم ملاحظة هى اعتراضكم على ما ابديته من ان الفتح العربى لافريقية لم يجد فى البلاد الا مدائن خربة او مزيلة لاتشمل من السكان الا القليل التافه، مثال ذلك : مدينة « قرطاجنة » العاصمة الكبرى قريعة رومة ، ومثل « حضرموت (سوسه الآن) التى بلغت شاوا بعيدا قبل عصر الوندال ، وكذا بقية الحواضر الافريقية التى تدهورت لدرجة مزعجة حتى تلافى عمرانها اقيال الاغالبة (راجع ماكتب عن سوسه فى ثانى الورقات) . . فاما « قرطاجنة » فلم يكن بها من القاطنين فى عصر الفتح الاسلامى اكثر من الفى نسمة او ما يقرب من ذلك ، واما « سوسة » فما كانت تحتوى من افارقة وبيزنطيين معا اكثر من ثلاثمائة عائلة على اكبر تقدير - وقس على ذلك مدينة « مكثر » (وصوابها « مقطريم » او « مقطر » نبع الماء بالفينيقية) وكذا « تقة » (عاصمة ملوك البربر ومنهم « ماسينيسا » الشهير ، وصواب أسمه : « ماكسن » باللغة الليبية القديمة) - وكذا مدينة « تسدروس » Thysdrus عند الرومان وقد حرفوا تعريفها الفينيقى ، وسماها العرب « الجم » اى القصر بالنظر الى ملعبها الضخم الذى هدم الثلمة الشمالية الكبرى منه « بلشار » المتقدم حين حاصر فيها بعض ثوار البربر) .

وربما ارمى بالمبالغة فى هذا التقدير ، لكن كل اعيان المؤرخين الافرنج وخبرائهم مثل استازى : سطيفان قزال (Stéphane Gsell) وحبيبنا شارل صومانى(Charles Saumagne)وهما ممن فحص ماليا حالة افريقية فى العصور

(*) العنوان من وضع المجلة .

الرومانية والوندالية والبيزنطية يصرحون علانية بخراب البلاد ومدائنها قبيل الفتح العربى ، وذلك بسبب الفتن المتواصلة بين الوندال والروم لاختلاف مذاهبهما الاعتقادية ، ولمحاولة كل من الفريقين فرض ايمانهم على البلاد • ومن يختبر الآن بقايا المدائن فى العهد الرومانى ير عيانا تدهورها وتدليها فى عصر الروم الذين كان لا يهمهم من شأن افريقية الا ما يمكن ان تدره عليهم من ارزاقهـــا وخيراتها ومنتوجها ، وظاهر ان البزنطيين ما كان لهم رغبة فى تعمير الارض بالاتفاق مع الاهليين ، ولذا كانوا يوجهون الى البلاد اعوانهم لفرض الجبايات وتوظيف الاداءات الفادحة ، ويرسلون لتاييدهم العساكر لمقاومة ثورات البربر المتتابعة والمتجددة فى كل يوم • ولذا اضطر ولاة الروم لتخريب المعالم التى من عهد الرومان لاخذ حجارتها ومواد بنائها لانشاء معاقل حربية للتحصن مـن ثوار البربر ومن يطالع اقدم تأليف لمغازى العرب بافريقية والمغرب (راجـــع تاريخ فتح المغرب لابن عبد الحكم الفقيه المصرى المتوفى قبل انتهاء القرن الثانى للهجرة) يدرك الفراغ الموحش الذى كان يشاهد فى بلادنا لما فتحهـــا العرب •

والواقع ان الراى الذى ابديت يشاهد امره فى كل الحصون التى بناها الروم البزنطيون بافريقية ـ وآثارهم محصورة فى قلاع الدفاع وبعض الكنائس ، فانظر مثلا الى بقايا مدينة « ممس » (Memsa) القديمة (وتعرف الآن بقصر « لمسة » على وادى الحطب باولاد عيار) تر ما فعل الروم بالاثار الضخمة التى كانت هناك من زمن الرومان او قبله ، واضراب قصر ممس تعـد بعشـرات العشرات فى قطرنا •••

••• أما قولكم ان « التجانى » ذكر ان حسان بن النعمان الغسانى افتتح قرطاجنة وخربها (١) والمحقق تاريخيا ان هذا القائد الاموى الكبير افتتح مرة اولى العاصمة الافريقية ، وقصد بعد مصالحة اهلها الى وطن « سطفورة » (مـا بين ماطر وبنزرت) لتمهيد الجهـة ، وفى اثنـاء مغيبـه عـادت شـرذمة من البيزنطيين المقيمين بشرق صقيلة ، وتحصنت باسـوار قـرطاجنة وغلقت الأبواب ، فاضطر حسان لاعادة حصارها ووجب أن يقطع عنها الحنايا الموصلة ماء زغوان اليها ، ولما تمكن بعد ستة اشهر من امتلاكها لم يخـرب منهـا غير بعض ابواب سورها لئلا تعود الى التمرد ، واما الهدم الثابت لحصونها المتينة

---

(١) يجب الانتباه ان كتابنا العرب عند ما يذكرون تخريب مدينة ما فانهـم يقصدون فى غالب الاحيان ـ تهديم سورها او جزء منه ، وليس هو التخريب المطلـــــق •

فقد تم بعد أن اتخذها ملك فرنسا لويس التاسع (صانت لويز) معقلا لجيوشه الصليبية حين حمل حملته المنكرة على تونس ايام المستنصر بالله الاول فبعد المصالحة امر هذا الامير الحفصى بتهديم اسوارها حتى لا ينزلها الافرنج دفعة اخـرى ،

وهناك امر آخر كان من اسباب خرابها : هو كثرة ما بقى فى انقاض معالمها من الرخام والمرمر ومن الاعمدة (سوارى) وعضدات الابواب ما شجع سكان تونس وغيرها دهرا طويلا من الزمان على نقل رخامها ومرمرها الجميل لتحلية بيوتهم وقصورهم ، كما اشار الى ذلك أبو عبيد الله البكرى فى « مسالكه » ٠

اضف الى ذلك ان عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ملك الاندلس الاموى لما بنى مدينة « الزهراء » حذو قرطبة ، تخابر مع تجار المقاولين التونسيين واشترى من انقاض قرطاجنة نحوا من 350 سارية نصبها فى حدائق حظيتـه « الزهـراء »

وفوق ذلك كله ، اذا كان الافرنج ـ ورثة الحضارة الرومانية ـ يقدرون فى « قرطاجنة » العاصمة التاريخية التى انبثقت منها المسيحية بفضل مؤتمراتها الدينية التى ايدها قديسون افارقة مثـل اقشتين وكبريـانوس وفولجانس فان العرب الفاتحين وابناءهم من بعدهم لم يكن لهم ان يراعوا قيمة ما لهـذه الاعتبارات ، لا سيما وانهم جاؤوا لتاييد دعوة ما يعتقدون انها الحق ، وهو الاسلام ، ولذا لم تكن « قرطاجنة » فى نظرهم غير مدينة من جملة المدائـــن التى اعترضتهم فى تقدمهم لنشر الدعوة فافتتحوها بدون التفات الى تلـــك المؤثرات العاطفية ٠٠٠

٠٠٠ وهل ان الرومان احترمـوا « قرطـاجنة » لما اغتصبـوها من ايـدى البونيقيين ؟ او ليس هم الذين ـ لا اقول خربوها ـ بل حرقوها يقينا باشعال النيران فى جميع بناءاتها حتى استوى كل ما كان على سطحها بالتراب ؟ فاذا ما باشرنا اى حفرية بمكانها القديم نعثر لا محالة على طبقة رماد الحريق الآن ٠

وزد على حساب الرومان فى عنفوان تمدنهم ما هو اشنع وافظع ، فقد هدموا من الجذور معالم (اثينة) عاصمة اساتذتهم اليونان وشيوخهم فى الحضارة والتفكير ، الم يسرد علينا التاريخ ان الرومان لما امتلكوا بلاد الاغريق ـ اواخر القرن الاول للميلاد ـ اول مافكر فيه قواد جيوشهم هو قلع ما كان يوجد فى (اثينه) وفى قريناتها من تماثيل وصور واعمدة (سوارى) وعضدات منحوتة من رفيع المرمر وثمين النحاس ، وتحميل جميع هذه الغنائم ـ بل النهائـب فى سبعين من المراكب الشراعية وارسالها فورا الى رومة واحوازها بقصـد

زخرفة قصور القواد ودورهم وتحلية حدائقهم وجناتهم بتلك التحف الفنية النادرة الوجود ؟ وتشاء الاقدار ان تأخذ البحر المتوسط بعض تلك السفائن بالغرق فتلتقى بواحدة منها فى قعر المالح امام مدينة المهدية الفاطمية ، وتبقى هناك اعشاشا للاسماك تسعة عشرقرنا ، الى ان يقع اكتشافها من بعض صيادى الاسفنج أول القرن الجارى ، فينال تونسنا العزيزة من هذا الغنم البارد جملة محترمة مما كانت تحمله السفينة من روائع الفن ، وبدائع النحت ، وهى اليوم من اجمل ما يحتفظ به « متحف باردو » من النفائس الاثرية الغالية .

وانما ذكرت ما تقدم لاتساءل بحق : ـ لماذا لا يلام على امة الرومان الراقية المتمدنة (؟) ما يلام على غيرها من الامم الفاتحة ، وفى مقدمتهم العرب ؟

فاذا كنا نحن ـ الجيل الحاضر ـ نرمق الى « قرطاجنة » بعين التقديـر والاعجاب فما ذلك الا لمؤثرات تلقيناها من اساتذتنا الافرنج الذين غـرسوا فى نفوسنا مشاعرهم وعواطفهم حتى صارت حضارتهم الموروثة عن الرومـان حضارتنا الحالية نسعى بكل ما فى وسعنا لايصالها وتوحيدها بمدنيتهم حتى نندمج فى بودقتهم المتغلبة على العالم باسره والله غالب على امره

اجل . ان المعطيات الحاضرة والظروف التى يعيشها البشر حاليا قد غيرت سياسة البلاد فى عمرانها واجتماعها واقتصادها وثقافتها وجعلتها تتدرج شيئا فشيئا فى النهوض الحضارى العالمى ، اما فيما مضى فالامركان مغائرا لذلك الوضـع .

وخلاصة القول انى لا ارى ان العرب ـ ومن جملتهم الاعراب من بنى هلال وبنى سليم النازحين الى افريقية فى منتصف القرن الخامس للهجرة ـ اعتنوا خصيصا بتخريب المبانى والمعالم القديمة وصرف أوقاتهم وأموالهم وجهودهم فيما لا يعود عليهم بالنفع فى العمل غير المجدى ، وغير خفى ان المنافع والمصالح هى التى تقود اعمال البشر وتسير افعالهم ، بل أرى ان تلك المعالم التى كانت منتشرة بالبلاد لما تطاول عليها عهد العناية بالاصلاح والترميم تداعت بطبيعة الامر الى الانهيار والسقوط كما يشاهد ذلك فى نفسروحة وما بها من الاثار الرومانية .

ومن ناحية اخرى لم يكن من هم العرب الاعتناء بهياكل نصبت لعبادة الاوثان ومسارح (ملاعب) لمصارعة الانسان للحيوان ، وكلنا يعلم ان اتجاه الفاتحين كان فى ابلاغ دعوة دينهم وترغيب الشعوب فى قبول مباديهم الروحية واتباع الاخلاق السامية التى أمروا بنشرها فى انحاء المعمـور من الارض وفى ذلك بـلاغ ...

حسن حسنى عبد الوهاب

الدوائر

شعر : محمود التونسى

رأسى فى الظل
والظل فى رأسى
أوراق ثقيلة
مبللة بالخل
بروائح الخجل
واقف على صمتى .
وصمتى يرتدى صوتى
وصوتى ماله بصمات
لم يكن قدفات
ولم يكن حجر ولا مطر
ولم يكن معنى
معناه ومغناه
والسماء شهباء
وعيناى دائرتان
فى خواطر السماء
تدوران تدوران
لتنزلا .... المطر .
السماء يا عمرى
يا فارغا ملآنا
أنا لست ظمآنا
لاحلب الهواء
وارضع النجوم
ضرعها الازرق
حليبها الازرق
عيناى ناعورة المطر
تدور تدور فى عمرى
وتلطمها الريح
ولن أعجب اذا قوقع الحديد

أو قزقز الخشب
هو الماء نرشه على وجهك يا زمن
لتنفخنا بالكذب وتلوننا بالاخضر
فنأكل أعمارنا بشره
وتمتد ايدينا
بالحب الذى فينا
بالكل الذى ملكناه
نمد معناه
كالرجل الطائع
يمد يديه لألذ شواه
فى مطعم ـ الزمن الضائع ـ
ونبقى هناك هناك
لأننا
قد أكلنا
أنفسنا
هناك هناك
أعد خطايا تعد خطاك
ونحكى الأكاذيب
ونصنع الأعاجيب
لنخرج لنخرج لنخرج
ونصنع المفتاح والباب والبواب
ليقول لنا البواب
خرف الزمن
ترقبوا الشباب
ونعلق المفتاح
فى قاطرة الليل والصباح
والليل والصباح .

م٠ ت٠

المخـــــاض

قصة : بقلم : عبد الواحد براهم

الليل أسحم أعتم ، ومدينتى العروس تحت كابوس تجاوز فى ارهابه حدود الرعب • شهب ترجم الفضاء ، وتصعق من بالارض ، وصراخ وعويل وأنات • مدينتى الجميلة فى جحيم ، وبناتى خائفات •

ـ امكثن أرضا يا صغيراتى !•• امسك تلك التى وقعت بجنبك يا رجل !•• ألا ترى الشظايا تكسر خشب النوافذ ؟

حتى زوجى المصعوق كان فى سهوم ، لملم ثوبه وقـرفص فى احد الاركان واجما مفتح العينين طوال ساعات الليل والنهار ، لا يبدو عليه أثـر للتصديق بأن ما حدث يحدث ، او الايمان بأن ما كان أمكن ان يكون •

ـ عطشانه يـا أمى ! ••

سامية ظمآنة • هذه المرة المائة التى أسمعها تردد فيها النداء المستغيث •

ـ كلنا عطاش جياع يا ابنتى •• المدينة بلا خبز ولا ماء الصنبور الفاغر فاه ما فتىء فى شهيقه منذ يومين يمتص الهواء ، كأن لم يكفه بخله علينا بالماء •

وتبكى بناتى الاربع من خشية وألـم فيتفتت كبدى وتـزداد عينـا زوجى انفتاحا ، ثم يطرق يائسا فيتناولنى شعور خفيف بالغثيان ، وألـم حـاد فى أسفـل بطنى •

حملى الخامس يخزنى •• ويلى منه فى مثل مـا انـا فيه •• رويـدك أيها الشقى ! • ماذا عساك ترى ؟ لا شك ان قد قربت النهاية •

ومن الشارع صعدت الى طابقنا الثانى رطانة غريبة ، وتناد مسعور • مـا أصلف الاعقاب المسمارية وما أقذع صوتها ! •• إنها تدك ارض الرصيف ، وتركل باب المدخل السفلى • فى نفس اللحظة انزاح اطار النافذة عن مكانه ، فتهشم الزجاج وسقط أرضا •

ـ ابتعدوا عن الزجاج فـورا ؟

صاح زوجي فاقتلعني من بحراني ، ووجدتني أتململ في جلستي التي مللتها ومللت الظلام ، وكل شيء ٠

ـ لا صوت يسمع بشقة الجيران !

ـ وكيف لنا ان نسمعهم وسط هذا الضجيج ؟

ـ الليل سماع !

الليل ما أطوله ٠ ان مللي ينقلب الى سم يسرى فى بدنى ٠٠ حتى الذعر مللته ٠٠ ثم ها هو الالم يحز فى بطنى وظهرى مرة أخرى ٠

ثم انطرح باب المدخل السفلى فى قرقعة مرعدة صمت آذاننا ، وانخلعت لها قلوب صبيـاتى ، فهمـن وسط الغـرفة قليـلا ، ثم انكمش بعضهن تحت جناحى ، والتف الآخر ببعض ثياب أبيه ٠

الرطانة فى الدرج وفى الردهة ٠

ـ هل سمع الجيران ما يجرى !

ـ لا أدرى ٠٠

وطرق الباب المقابل ، وعلت الضوضاء ٠ وقع الاعقاب الحديدية يطن فى جنبات البناء ، والهلع يمزق أعصاب صغارى ٠

ـ تعالين ٠٠ لـم الخـوف ؟ !

وانفتح باب الجيران ، وتبودل الحديث ٠ هذا جارنا المـوظف الفـرنسى ٠٠ زميلنا فى العمل يحادث أبناء جنسه ويحاورهم ، ثم يخفت كل شيء ، فيكاد الهدوء يعود الى نفسى ، وأتململ فى جلستى كلما عاد الالم يحز فى عظمى ، وأشعر بملل شديد حتى لكأنى لبثت هنا سنة كاملة ٠ ليلة ، ونهار ، وليلة أخرى كأنما ذاك بطول العمر كله ٠ لا خبز ولا ماء ٠ والصغار جائعون ، فى خوف يمزق الاكباد ٠

لقد مللت كل شيء ٠٠ لكن ها هو الباب يطرق برفق أولا ٠٠ ثم بقـوة ٠ وتحرك زوجي ، حرك عينيه أول مرة فنظر الى ، ثم تحـرك زاحفا نحو الباب الموصد ، ووقف ناحية القفل لا يحير ٠

ـ افتح الباب يا هذا ٠٠ أوشك الامر على النهاية ٠ أنا مللت الوجع الذى يقض أضلعى ، ويكاد يغرس أصـابعى فى زليـج الغـرفة ٠ ودخـل جارنـا

الفرنسى تتبعه زوجته الشمبيبة بجان دارك التى طالما رأيت صورتها فى كتب التاريخ القديمة · ومن خلف جارنا جند عديدون ·· اندفعوا كالسيل وتوزعوا فى الشقة يجوسون خلالها فى ريبة وشك ، بأيديهم المصابيح يبثون ضوءها فى كل مكان ، ثم صاحوا :

ــ هيا ·· تقدموا للخروج من هنا ! ·

ــ لكن الى أين ؟ والجحيم فى كل مكان ؟

ــ الى حيث لا أدرى ·· لكن يجب الخروج من هنا ·

ونظر زوجى الى زميله يسأله ان كان اتصل بأمر كهذا · عيناى لم تتجرءا على تسلق السراويل المنمنمة بل تسمرت عند حدود الاحذية الغليظة التى كانت تدق أرض الغرفة جيئة وذهابا ، وتاهت بعد ذلك بين دوائر الضوء المجنونة التى كانت تحملق فى وجوهنا تارة ، ثم تقفز من ركن الى آخر فى جنـــون ·

وتحدث الجار الفرنسى الى زوجى حديثا اختلط فى مسمعى بصليل السلاح الذى كان يحتك بعضه ببعض على صدور الجند وجنوبهم ، وسمعت أوامر كثيرة ، كانت تنطلق بين الفينة والاخرى من حنجرة ذات فحيح ·

تداخلت اشلاء الصور التى أمامى ، وازدادت تشويها فى وعيى الذى لم يكن فى سوى شبه يقظة ، حتى تألفت من الثياب الرقطاء ودوائر الضوء المتراقصة ، مجموعة من الافاعى تفح من حولى وتزحف على أرض الغرفة بعيون ملتهبـة ·

ــ ربـــاه ·· !

وقفزت من مكانى ، اذ ركلتنى احدى الاقدام ، فقرب زوجى منى ليساعدنى على الوقوف ، فما أكاد اتماسك على قدمى · الجار يشير الى الباب ، حيث سبقته امرأته ، وزوجى يسوقنى الى مكانهما ، ويدفع الصغار بركبتيه ·

ــ هل يطردوننـا من دارنـا ؟

ــ يبغون جمعنا فى شقـة واحـدة ليتمكنوا مـن مراقبتنا بسهولـة ، أو ليستعملوا بقية البناية فى الدفاع ·

هذا بيت جيراننا ، فيه هو بدوره فئة أخرى مـن الزبانيـة ، فى عيونهم

هزء واستخفاف ٠٠ يا للابالسة ! انهم الشياطين فى أجساد ٠ لم أتصور أن آدميا يستطيع الاقتراب من شكل الشيطان بهذه الدرجة ٠

العرق البارد يتفصد منى ، وازداد ظهرى انحناء٠٠ ثم آه للضربة القاصمة ! انـــه المخاض !

أهذه مشيئتك يا إلاهى ؟ يا أمى ٠٠ يا رسول الله ٠٠ يا كل من استجير بكـم !٠٠

ومدت الفرنسية الى يدها ٠٠ جان دارك تمد الى يدها وكأنها خرجت لتوها من كتاب التاريخ ٠ أمن المقدر على أن أدنس بهاته الصورة ؟ وأزحت اليد التى شدت على عضدى ، ثم استمررت فى خطوى الوئيد مستندة الى كتف زوجى ، وأنا أكتم الصراخ عضا على شفتى ، حتى اذا بلغت غرفة النظافة استدرت لالقى نظرة على الموكب الغريب الذى وقـف يشهـد مأسـاتى ، ثم دخلت وحـدى وأقفلت الباب ٠

وحدى هنا ، والعزف اللعين هناك ، والافاعى الرقطاء تحوم فى خيالى بعيون مضيئة ، ولا مـن مجير ٠ شعرى سحابـات سوداء بين أظافرى ، والالـم فى أحشائى يمزق كل صبر ، ويسحق كل شجاعة ٠٠ سأصبر ولو تحطم كل شىء ٠٠ لابد لكل خلق جديد ان يقوم على انقاض ، يريد الالم ان يقضى على ، سوف لن أستسلم ، ولن أرتخى ، وسأبحث عن الخلاص ، سأفتكه من أنياب كل شيطان ٠ أى جحيم هذا ؟ مالى لم ألق فى أى مرة سابقة ما ألقى الساعة ، كان لى من يشد أزرى دائما ، وما بلغ بى العسر هذا المبلغ ٠ لن استسلم ٠٠ يا من يجير ! أين رحمتك ؟ أنسيتنى كهؤلاء الذين يصيحون فى الشارع الدامى ؟ وصراخى لاأريد أن يزيد من كآبة هذه الليلة سأحتفظ به فى حلقى ، أقضمه بأسنانى ، ألفه فى الكتان الذى مزقتة مـن ثوبى ٠ يا للالم القاتـل ٠٠ حتى سلسلة المضخة لانت لوجعى فتخلصت من مكانها ٠٠ انهـا تقـع على الارض وتتدحرج فارة الى احد الاركان فى الغرفة الضيقة ٠٠

٠٠ ثم هل الوليد صارخا فى وجه الوجود ، فجعلته فى لفافة مما بقى من ثوبى السابغ ، وربطت ببعضه الآخـر حزامى ، وخرجت بالعرق البارد على جبينى ، وبالالم بين فكى ، أجر جسمى الهزيل المرتعش بساقين لم تعزما على الوقوف ، وأقابل الناس بوجه من لون الشمع ٠ نفس الموكب الذى غادرتـه منذ قليل ، قد وقف ينظر الى باب حجرة النظافة التى خرجت منه ٠٠ جان دارك ، والبدلات الرقطاء ، وصليل معدات الجحيم ٠ الكـل يتأملنى ، ولكنى لم أبال بسوى زوجى الذى مد يده لينال الهدية التى جئته بها ٠

ـ هاك ٠٠ ودعنا نخرج ٠ اين البنات ؟

ـ ها هن هنا ٠ ألم تعلمي ؟ لقد توقف القتال ٠

ـ لم يعد يهمني ٠٠ هيا يا أحبابي ٠٠ آه ٠ اني

ـ كيف نخرج وانت ٠٠

ـلابد أن نخرج ٠٠ لم أمت بعد ولكنى متيقنـة من أنى سأمـوت ان بقيت ساعة أخرى هنا ٠

ـ هل تقدرين على المشي ؟ وانت ما تزالين ٠٠٠

ـ أقدر ٠٠ آه ٠٠ لابد ان أقدر ٠ أحس أني قادرة على كل شيء

وأخذت أزحف نحو باب الشقة معتمدة على الجدار بيـد وعلى كتف زوجي بأخـرى ٠

ـ ثم الى أين سنذهب ؟

ـ هات لي رداء من بيتنا وهيـا ٠٠

وتحرك نحوى أحد الاصنام الرقطاء التى كانت تزين شقة جارتى اذ كنت وصلت الى قفل الباب واردت فتحه ، ولكن الضابط أوقفه بحركة من يده ٠

ولما صرت فى الردهة ، التفت وكنت أريد أن أقول شيئا ، ولكنى نظرت الى كل ما هناك بعينى الغائمتين وحدقت حتى أوجعنى بصرى ، ثم لم أقـل شيئا ٠٠٠ كنت أحب أن أسأل أولئك عما اذا كان من الواجب أن يحدث ما حدث ٠٠ وبهاته الصورة ؟ لكنى لم أسأل بل قضمت طرفى عجارى وشرعت فى نزول الدرج ٠ حتى اذا صرنا فى الشارع المقفر ، وقزقزت تحت أرجلنا شظايا الزجاج المهشم شممنا رائحة الموت تشيع من كل الاشياء ٠٠ ثم رأينا كل الاشياء لكنى لم أعد أحتمل أكثر من ذلك ٠

ـ هيا بنا جهة البحر !

ـ وسار ركبنـا الضليل ناحيـة (البطاح) حيث انهرنـا جميعا فى ظل جدار نملا رئاتنا الملتهبة بالهواء الممتزج برائحـة الملح ، وننظر الى الضبـاب المتصاعد من البحر فى ضوء الصباح ٠ وكشف زوجى عن أحد طرفى اللفافة ، وأخذ يسترق النظر داخلها فى فضول ٠

ـ انه ولد ٠٠ وسأسميه جلاء ٠

قلت له ذلك وأنا أنظر الى الضفـة الاخرى مـن القنال ، والى ميـاه الجزر المنسحبة فيه بهدوء ، وقد بدأ الألم يزايلنى شيئا فشيئا فأحسست أنى أوشك أن أستعيد حقيقتى ٠

ع ٠ ب

حسن حسني عبد الوهاب هل مات ؟

بقلم : محمد مصمولي

• الجائـزة فالمـوت ولكـن !

كان الموت الذى كانت كل آثار العلامة الكبير (حسن حسنى عبد الوهاب) ضده تماما ، أراد أن يثأر لنفسه وينقذ شرفه فاختطف منا « **الشيخ الجليل** » مباشرة بعد أن أسندت له الجائزة التقديرية (جائزة بورقيبة) باعتباره المؤرخ التونسى « الذائع الصيت فى المحافل العلمية بتونس وبمختلف الاقطار العربية والافرنجية ، كتب باللغتين • وهو فى عصرنا أول مؤرخ تونسى توخى فى أبحاثه الطرائق العلمية الجديدة فخطا بالدراسات التاريخية فى بلادنا أشواطا وجعلها من الدقة والامانة والنفاذ الى جواهر الامور بحيث أصبحت تعتمد فى كافة الدوائر العالمية • وقد تسنى له ذلك ، بفضل البحث المنظم والتنقيب المتواصل وبفضل ما توفق اليه فى طليعة المؤرخين العرب من ربط المعطيات الوثائقية والمعطيات الاثرية • وهى من الطرائق الحديثة التى مكنت المؤرخين من سبر أعماق الماضى بما يشبه الدقة العلمية » (1)

فالموت أراد أن يعبث (وهنا لا أريد أن أشير الى عبثه مع المفكر الوجودى (ألبير كامو) Albert Camus الذى مات بعد مدة غير طويلة من جائزة نوبل فى حادث سيارة والحال أن تذكرة القطار فى جيبه) •

الا أن عبثه مع (شيخنا الجليل) قد اكتسب طابعا مسرحيا صارخا أكثر فالرجل مات بعد يومين فقط من الجائزة وكأنه لم يعترف بعنصر المفاجأة الذى سيجابهه به الموت • أما كيف ؟ فلنتذكر كلمة الشكر التى أرسل بها قبل يومين من موته أى يوم الجائزة بالذات ، تلك الكلمة ألم تكن وصية (Testament) بشكل يكاد يكون كاملا ؟ ألم يعبر فيها العلامة عن رغبته فى جعل مكتبته الخاصة التى تشمل مفرداتها الكثير من أخبار الاندلس والمغرب الكبير مؤسسة خصوصية تلحق بدار الكتب الوطنية ، ويشرف على نظامها وتسييرها الاساتذة الصادق المقدم والشاذلى القليبى ومحمد مزالى وفضيلة مفتى الديار التونسية والامين الشابى وغيرهم ؟

(1) من كلمة الافتتاح التى ألقاها السيد كاتب الدولة للثقافة والاخبار

اذن فقد فشلت مفاجأة الموت أمام حسن حسنى عبد الوهاب ! وفذلكتـــه مع شيخنا الجليل كانت باهتة الملامح خالية من الطرافة !

• المــوت والنـــاس :

ليس الموت نهاية المطاف عند بعض الناس النوابغ من صنف الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الذى لم يحى طولا وعرضا فقط بل عمقا أيضا وهذا ما ليس فى متناول الجميع • والمقصود « **بالعمق** » هو الغوص الواعى الجاد فى مجاهل الفكر والحياة ، ومبهمات الحقيقة والواقع ، وتعاريج الماضى والحاضر وألغاز الاثار ومعميات المخطوطـــات ••

الا أن بعض المتسرعين فى الحكم قد يفهمون كلمة « العمق » المنسوبة الى علامتنا النابغة على غير المعنى المقصود هنا • فثمة من حملة القلم من « يدعيها » على خطأ وأكاد أقول عن « زيف » وثمة من ينصب نفسه فى قائمة «أهل الذكر» وهبة نسيم واحدة ، أو حبة رمل واحدة تكفى نقلقلة بانه وزلزلة أركان قلعته المهيبة •• فهذا الصنف من الادعياء ليس كالصنف الاول ، لان موتهم عادة قبل الموت فضلا عن أن يكون لهم من يذكـرهم بعـد ذلك « بخيـر » • فهم اثر الموت لا يطمحون الى أن يموتوا بعد ذلك فى قلوب البعض أو ذاكرة الاجيال خلافا للكتاب الاكثر حياة منهم • فالعظيم لا يقتل فهو أقوى من الموت ولكنه « ينتحر » كما يقال من تلقاء نفسه وسلاحه فى ذلك انتاجه نفسه عندما تتسرب اليه الفجاجة واللامبالاة أو الزيف أو الصمت الخائن أو انعـــدام الشخصية أو فقدان الطابع المميز الخاص ••

أما (حسن حسنى عبد الوهاب) فهو أقوى من الموت « **فعمقه** » يتمثـــل بالذات فى مجابهته المستمرة وسلسلة تحدياته الصامتة الشهمة للموت • فهو قد وهب عمره « الطويل » للحرف وللفكر وترك كما يقول هو « الملاهـــى والمقاهى » ليكون محرابا متنقلا للنفوس والاذهان ، ومنارا انسانيا فى تونس وفى مجامع الشرق والغرب على السواء (مجمع اللغة العربية منذ تأسيسه آخر سنة (1932) والمجمع الفرنسى للنقائش سنة (1939) وكذا فى المعهد المصرى وفى المعهد التاريخى الاسبانى منذ أربعين عاما والمجمع العلمى بدمشق منذ تأسيسه وكذا فى المجمع العلمى العراقى فى بغداد ، وغير ذلك) ثم هو شارك فى غالب « مؤتمرات المستشرقين » ابتداء من عام (1905) كما شارك فى مؤتمر « كبنهاكن » ومؤتمر « باريس » للمستشرقين الفرنسيين ثم المؤتمر المنعقد بربـاط الفتـح بالمغـرب ثم مؤتمـرات كمبريـدج وانكلتـــرا واسطنبول ومونيخ وغيرها •

◆ **الناس و « شيخنا الجليـــل »**

الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب زميل (جورج براون) الانكليـزى و (فولارس) الالمانى و (ميقال آسين بالاثيوس) الاسبانى و (ما سينيون ووليم مرسى) الفرنسيين وغيرهم من « أهل الذكر » العرب وغير العرب ٠٠

و « للاستاذ المؤرخ تأثير غير قليل فى توجيه عدد من الباحثين الناشئين سواء بكتبه أو بتوجيهاته المباشرة التى لا يبخل بها حتى فى أوقات مرضه ، اذ هو معروف ليومنا هذا باكرام الوافدين على منـزله وتمكينهم من ضـالتهم بمـدهم بالمعلومـات أو اطـلاعهم على نفـائس المخطوطـات ونـادر التحـف والاعلاق (2) » ٠

وهذا الكرم العلمى من نابغتنا لم يكن يخص به شيبا دون شباب أو عربا دون افرنج أو تونسيين دون مشارقة فاقرأ معى فى مجلة « الاديب » اللبنانية عدد افريل 1967 التى يديرها الشاعر « ألبير أديب » ما قاله أحد الادبـــاء العراقيين بصفحة (22) : « فى صلامبو بقرطاجنة المدينة الموغلة عبر التاريخ وفى دار تطل على بحيرتها الصغيرة الساجية وتحيط بها حديقة غناء تختلط فيها السقسقة بالزقزقة ، يقيم علامة تونس وشيخ مؤرخيها السيـد حسـن حسنى عبد الوهاب ، وهو برغم كبر اعتوره ومرض تعاور عليه ما فتأ يقطع كل أوقات يقظته قارئا كاتبا ، مدققا محققا ، مجيبا على رسائل سائليه الكثار ومحدثا زواره القلائل ٠

منذ عام وأنا أقصده كل مساء أحد فألقى فيه بشاشة وجهه وروحه العلمية السمحة أبا وأخا وصديقا ، فاذا تشعب بنا الحديث عاد الى ذهنى وتجسدت أمامى طيوف الخالدين من كتاب العرب فى عصورهم الذهبية الزاهرة ، فأزداد به اعجابا ويزداد بى تعلقا ٠

ثم تقطع علينا ـ علية هانم ـ رفيقة حيـاته الخـالدة حـديثنا المستـرسل بابريق شايها المعطـار فتعيدنا بلطفها وكرمها الى عالم المادة ٠٠ وأغادر الدار وفى ذهنى أصداء من حديثه الماتع وشذى من خلقه الرائع ٠٠ »

والملاحظ أن هذا التواضع أو ما يسميه السيد رئيس تحرير جريدة (الصباح) الغراء « بالتسامح » قد جعل الشباب يقترب ويعجب ويعترف ويحب علامتنا

---

(2) نفس المصدر الاول ٠

النابغة • فشيخنا الجليل أهل لذلك لا فقط لانه ذلك « العلامة » بل لانــه لم يخش كبعضهم حرارة الشباب واندفاعه وتجديده للحياة • فقد كان ـ رحمه الله ـ عالما أصيلا يسطع نور الاريحية الثقافية فى عينيه ثم ينتشر على غيره ليكون زادا « نظيفا » لكل باحث أو دارس أو أديب أو قارىء ليتفيأ فى ظلاله ويحلق معه بالمقدار الذى يقدر عليه جناحه • لهذا كان حسن حسنى عبدالوهاب من الرجال الذين نتذكر بخصوصهم جملة السيد الهادى العبيدى : « ان اليوم ليس يوم الشيوخ بل هو يوم الشباب ـ غير أن هذا لا يمنع من الاعتراف بالفضل فى قيادة الشباب المتزعم اليوم للاضطلاع بأعباء حمل المشعل وتأدية الرسالة الى اولئك الشيوخ الذين تقدموه وكافحوا وواجهوا وأناروا السبيل أمامه وعبدوه » •

◆ حسن حسنى عبد الوهاب والتراث :

ان نظرة خاطفة (لفهرست) مؤلفاته وتعريفه وتــرجمته لاكثــر من ألف شاعر تونسى تكفى لان نعتز به نحن التونسيين قبل غيرنا ونؤمن بخصوبة هذه الارض الحبيبة الخضراء التى لم تنتج الزيتون والقمح والبرتقال ونحو ذلك فقط بل هى أنتجت وتنتج أيضا عقولا من الطراز الرفيع ونوابغ من المفكرين الذين جعلوا من تراثنا ثروة وثورة • وما علاقة (ابن خلدون) أو (ابن رشيق القيروانى) أو (ابن شرف) أو غيرهم الكثيرين ـ ما علاقتهم بالتــراث التونسى الا كعلاقة بعض النتائج ببعض وسائلها • لهذا علينــا أن نعتــز بذلك ونعرف به العالم ونضيف اليه • وعندما يتغذى الجيل الصاعد بتراثنا ويتشبع بروحه الغنية ويستقى من منابعه الثرة الزاخرة ، اذ ذاك يقــر قــرار علامتنا الراحل حسن حسنى عبد الوهاب • فهو ما كان ليتعب ويجاهد ويبحث ويحقق ويقارن ويمحص لولا ايمانه بأن التراث هو الدعامة الجوهرية الاولى لكل نهضة ، باعتبار أن الامس هو مفتاح الغد القريب والبعيد ومن هنا كانت لشيخنا الجليل جولاته وفتوحاته وانواره المسلطة على التراث باعتباره قيمــة عقلية ووجدانية وعلمية لابد منها لمسيرة الشعوب اليقظة الناضجة المؤمنــة بضرورة تركيز انطلاقتها على قاعدة ما يسمى بالبنية الاساسية أو L'infras-tructure وعندما نفهم هذا ندرك أيضا أبعاد الالتفاتة الرئاسية من المجــاهد الاكبر الذى قال منذ سبعة أعوام : « أعبر عن شكرى للاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، على المجهود الجبار الذى يقوم به فيما يخص احياء الاثار التى تبرهن على المدنية العتيقة الراسخة منذ قرون فى هذه البلاد ، وأؤكــد له أن عمله هذا يساهم مساهمة كبرى فى بناء تونس الجديدة ، لانه لا يمكن بناء مدنية قوية متينة بدون أساس متين » •

وقد تجسم ذلك الشكر الرئاسي في (7 نوفمبر وهو « يوم الثقافة ») في اسناد (جائزة بورقيبة) الكبرى اعترافا بالفضل لذويه واكراما للفكر وحثا على احلاله المكانة القيادية التي لم يخلق الفكر الا لها والتي بالفكر النير فقط كان ويكون تبريرها المنطقي وشرفها وفعاليتها الحق ..

محمد مصمولي

فلسفة

شعر : رياض المرزوقي

صدرية مزخرفه كاشفة معرفه
نامت على منفرج ما بين كف وشفه
صغيرتي ، أتعلمين ما الهوى ؟ ما ألطفه !
صغيرتي ، واحدة كانت على مسرفه
ما حملت في قلبها ؟ هذا الذي لن أعرفه
كأنها الآن هنا أنيقة ومترفه
لكنها فارغة كالريح وسط الصدفه
فباعدت شفاهها وصرحت مرتجفه
كفاك ، قد أضنيتني فلا أحب الفلسفه

ر — م

مقدمة فى الشعر الملحون

— 17 —

بقلم : عبد المجيد بنجدو

اذا كان السبب الخفيف يشكل وحدة صوتية ، فان تجزئة هذه الوحدة لا يكون الى وحدات ، بل الى اجزاء الواحد ، لذلك كان لزاما علينا ان نفترض للصوت مركبا بسيطا لا ينقسم ولا يكتفى باجزائه . وهذا المركب هو السبب الخفيف فاذا قسمنا هذا السبب الذى هو واحد الى نصفين قلنا فى نصفه ، سبب مقطوع واذا ما افترضنا هذه القاعدة تبين لنا ان الحروف الهجائية بوصفها أداة من أدوات الصوت لا يمكن ان تستقل بنفسها فى النطق بل يجب ان توصل ووصلها له أربع صور :

أولا : صورة المدوله ثلاثة أشكال :

أ — المد بالواو كالواو مع النون فى (نور)
ب — والمد بالياء كالياء مع الميم فى (ميم)
ج — والمد بالألف ممدودة كانت أو مقصورة
كالألف مع الباء فى (بـاع)
والألف مع الشين فى (مشى)

ثانيا : صورة التنوين :

وهى ان يشكل الحرف مع التنوين مفردا صوتيا واحدا .
والتنوين ثلاثة اصناف : تنوين النصب وتنوين الرفع وتنوين الجر .

ومثـاله : النون مع الباء فى (كتـابٌ)
والنون مع الباء فى (قـرأت كتـابـاً)
والنون مع الباء فى (دونت فى كتابٍ)
فالباء فى بٌ (بُنْ)
وَ باً (بَنْ)
و بٍ (بِنْ)

لها صورة فى النطق حسب ما هو معروف فى تقطيع الشعر على غير ما هى عليه فى الكتابة لذلك افردنا التنوين بالذكر لننبه اليه وان كان يمكن ايراده مثالا فى قسم الحروف الصحيحة التى تصور عليهـا نقطـة النهـاية فى الخط الصوتى ·

ثالثا : السكون او نقطة النهاية فى الخط الصـوتى التى تقـع على حـرفى الـواو واليـاء وهما حرفان من احرف العلة الثلاثة ·

ومثال ذلك الواو مع الباء فى (بَوْنٌ)
والياء مع الباء فى (بَيْتٍ)

وكان بالامكان اقحام هذا القسم فى باب المد الا اننى افردته بالذكـر لمـا يترتب عليه من أحكام فى ضرب البيت وكذلك لم اعده فى باب السكون الذى يقع على الحروف الصحيحة لنفس الغرض وللفارق الذى يكون بين الحـروف الصحيحة والحروف اللينة عندما تكون فى حال سكون ونقطة نهاية فى الخط الصوتى ·

رابعا : الاحرف الصحيحة :

ومثال ذلك السكون الذى يقع على اللام مع العين فى (عِلْمٌ) او مع اى حـرف آخـر صحيـح كالنـون مع الجيـم فى (جُنْدْ) والكاف مع الشين فى (شكْر)

وليقس على هذا بقية الحروف الصحيحة ·

ويترتب على هذه التفريعات كلها حكم واحد يدخل علم الصوت وماهيته ، وهو ان الحروف باعتبارها أداة من أدوات الصوت هى خاضعة لهذا القـانون الذى افترضناه للخط الصوتى من نقطة البداية الى نقطة النهاية ·

ويكون نتيجة لكل هذا ان الحرف الواحد لا يمكن ان يؤدى بمفـرده خطـا صوتيا يتضمن مفردا ووحدة صوتية ·

فلا يمكننا ابدا ان نقرأ حرفا من الحروف الهجائية مستقلا بـذاته دون ان نسنده الى حرف آخر ساكن كان هذا الحرف الثانى مـدا او تنوينـا او حرفا صحيحا ساكنا ·

ولعل مرد قراءة الاحرف الهجائية دون الاقتصار على الحرف منفردا بذاته يرجع الى هذه الحساسية الذوقية الموسيقية ، فالاحرف تقرأ عند الاول (بـاء) (تـاء) (حـاء) (خـاء) (جيـم) (كـاف)

ولا تمثل الحروف فى الصوت باعيانها فلا يقال عند قراءتها ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ ك ـ الى آخره ٠

وقد كنا قدمنا فى رسالة سالفة الى الخط الصوتى وقسمناه الى :

خط سمعى رمزنا له باحرف ثلاثة : الباء اشارة الى نقطة البداية والنون الى نقطة النهاية والسين بينهما الى المسافة غير محدودة الطول ٠

ثم استطعنا ان نقيس بواسطة هذا الخط الضابط الحركات المنفـردة التى نجدها فى كل من الوتد المجموع والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى والوتد المفروق والسبب الثقيل على اعتبار ان الوتد المفروق والسبب الثقيل مفردان ايقاعيان وان هذه الحركات المنفردة يمكن ان نضبطهـا بطـريق هذه المعـادلة المفترضة ٠

وهى خط : ب س م ، أو : ب س ن الآن يساوى : ب س م ، وقد عوضنا النون التى هى نقطة النهاية ميما إشارة الى المسافة المقطوعة ، ثم سلطنا هذه المعادلات التى ضبطنا بها الصوت فى المفردات الايقـاعية بالنسبـة للشعـر العربى ضبطنا بها مفردات الشعر الشعبى الايقاعية ٠

وهى اولا : السبب الخفيف ورمزنا له بهذه الاحرف : الباء والسين والنون سبب خفيف |————|

ب س ن

ثانيا : سبب مضاعف ب س ن + ب س ن – ب س = ب س ن ن

وجعلنا السبب المضاعف سببا لينا وهو ما انتهى الصوت فيه بحرف مد ، وسببا صحيحا وهو ما انتهى الصوت فيه بحرف صحيح ٠

ومثلنا للسبب المضاعف اللين بالامثلة التالية : قـول ، كـول ، شـوف ، دور ، غـول ، فـول ٠

اما السبب المضاعف الصحيح فقد مثلنا به بهذه الامثلة قلت ، وشفت ، درت ، عملت ٠

وهكذا اهتدينا الى كشف المفرد الايقاعى فى الشعر الشعبى وقدمنا فى الرسالتين الماضيتين لوزنى البورجيلة والعروبى وقلنا ان وزن البورجيلة يتألف السطر الواحد منه من تسعة مقاطع او مفردات ايقاعية يكون المقطعان الثانى والخامس منها سببا مضاعفا حتما ويتعين في المفردات الباقية ان تكون اسبابا خفيفة عدا السبب التاسع فانه يكون احيانا سببا خفيفا واحيانا اخرى سببا مقطوعا واقدم لكم فى هذه الرسالة امثلة من البورجيلة فقد ورد فى كتاب الصادق الرزقى (الاغانى التونسية) طبعة الدار التونسية للنشر بمراجعة هيأة تابعة لكتابة الدولة للشؤون الثقفية والاخبار هذه الاغنية المعروفة المتداولة على الالسن : والعين تنحب من فراق غزالى ·

المذهب أو الطالع أو رأس الركاب حسب تسمية أهل البادية أو ردة حسب تسمية المرحوم الصادق الرزقى فى هذا الكتاب ·

والردة كلمة متعارفة فى الاوساط الشعبية وهى الكلمات التى تقاطع بها المجموعة الصوتية ابيات المغنى عند الانشاد فيقال غن واحنا نردو عليك ، أو غن وهوم يردو عليك أى أنشد والمجموعة التى حولك تساعدك وتردد المذهب ، وتسمى المجموعة فى تونس الردادة وفى البادية تسمى السعفة من اسعفه يسعفه فهم مسعفون جمع مذكر سالم أو سعفه وهو جمع تكسير وجمع التكسير وحده هو المستعمل ·

(I) عروبى : فراق الحيا يذبل الروح ويا عين بالدمع نوحى
نبكى والقلب مجروح من يوم فارقت روحى

– رده :

(I) **العين تنحب من فراق غزالى**
حتى لذيذ النوم ما يحلى لى

– بيت :

رحلو بيها
سود الميامى مذبلة عينيها
لو كان صابت حكمها بيديها
يحدث عليها تقول جيبوا خالى

(I) لم يذكره الصادق الرزقى فى كتابه ، وقد اقرت هذا العروبى لجنة الرشيدية ·

عروبى :

يحدث على العبد ساعات
شيء الذى لا يوالم
واللى يقرأ العقوبات
تبعد عليه المظالم
(2) وزنت حكرت الاوقات
(3) لا حد من حد سالم

(2) بيت :

حكر تنجي
اوزن بعقلك فى مثيل السنجه
محال نصبر (4) على فراق الغنجه
(5) وفراقها ما كانشى فى بالى

- عروبى :

فراق الحيا مر وصعيب
خلف دموعى تقاطر
فرقه بلا موجعه عيب
ما تتنسى من الخواطر

(3) بيت :

ما ننساها
قلبى مولع بحبها وهواها
كانت حذايا كل يوم نراها
رحلت وخشت فى فجوج خوالى

- عروبى :

رحلت على وغابت
خشت فجوج الخليه
كبدى من الوحش ذابت
والايام طالت على
تتفكرنيش ثابت
فى غيبتى يا بنيه

(4) بيت :

بعد الغيبه
ما يفقد الانسان غير حبيبه
جرح المحبه يا ناس من هو طبيبه
تساعدو الايام كيف توالى

ـ عروبى :

(6) الايـــام عـــديتهـم مـــرض
سبـــب مـــرضتـى بالغبينـــه
نمشـى جـهـــامـه عـلى الارض
(7) فـى وسـط سـوق المـدينـه
خـايف مـن لـكـــة الـعـــرض
لا تشمـت النـــاس فينـــا

(5) بيت :

كـيـــف بتنـــا صبحنـــا
(8) بارى كـلام النـاس لا يفضحنـا
تصبـح عـلى خيـر وتسـامحنـا
والعيـن تنحب من فـراق غـزالى

ولقد اخترت هذه الاغنية مثالا لانها تشمل الوزنين اللذين كنت تعرضت اليهما فى الرسالتين الماضيتين وهما وزن البورجيلة ووزن العروبى ، ولعله من المفيد هنا ان ارسم لكم مثالين لهذين الوزنين البورجيلة :

للصدر ـ وللعجز : فـالان فـافـالان فـافـافـاف

(–) (o –) (o –) (o –) (o o –) (o –) (o –) (o o –) (o –)

أو بتسكين العيـن : فعـلان فافعـلان فعلـن فعـل

أو (دا) (داى) (دا) (دا) (داى) (دا) (دا) (دا) (د)

(–) (o –) (o –) (o –) (o o –) (o –) (o –) (o o –) (o –)

1	2	3	4	5	6	7	8	9
↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓
سبب	سبب	سبب	سبب	سبب	سبب	سبب	سبب	سبب
خفيف	مضاعف	خفيف	خفيف	مضاعف	خفيف	خفيف	خفيف	مقطوع

أما وزن العروبى فمثاله :

الصـــدر : فـالان فـالان فـالان
العجـــز : فـالان فـالان فـال
أو للصدر : فعـلان فعـلان فعـلان
للعجـــز : فعـلان فعـلان فعـل
تسكين العين

أو للصدر : داداي داداي داداي
للعجــز : داداي داداي داد

	1	2	3	4	5	6
الصــدر :	(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ o o)
	سبب خفيف	سبب مضاعف	سبب خفيف	سبب مضاعف	سبب خفيف	سبب مضاعف
العجــز :	(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ)
	سبب خفيف	سبب مضاعف	سبب خفيف	سبب مضاعف	سبب خفيف	سبب مقطوع

وللعروبى صياغات أخرى سنذكرها فى الفروع فاذا ما حاولنا ان نسلط هذين الوزنين البورجيلة والعروبى على هذه الاغنية تبين لنا فيما يتعلق بالبورجيلة ·

ان الاشطر الموزونة ، ويسميها البدو (المذبدة) هى الآتية :
الشطر الاول وهو :

العين تنحب من فراق غزالى

والشطر الثالث من البيت الثانى اذا سكننا فيه لام عـلى وقلنا عـل :

محال نصبر عل فراق الغنجه

والشطر الرابع من البيت الثانى وهو :

وفراقها ما كانشى عـل بالى

والشطر الثانى من البيت الخامس اذا أدخلنا عليه هذا التعديل وقلنا :

باريك قول الناس لا يفضحنا

بـدلا مـن :

باريك كلام الناس لا يفضحنا

أما الاشطر الاولى المجزوءة من كل بيت فهى موزونة عدا الشطرة الاولى من البيت الاخير وهى :

فهى شطرة مزحوفة ٠

ويدعى القصيد الذى به اشطر مجزوءة مقطوف ـ أو : مقطوف جناحه ٠ وتقطع الام بعضا من أذن وليدها مخافة ان يموت وتسميه مقطوفا ويكنى اذا كبر وكان رجلا (المقطوف) ويطلق عليه اسما ويبقى فى عقبه لقبا ٠

أما بقية ابيات هذه الاغنية فاستطيع أن أدعى بانها محرفة حرفها الرواة وحجتى فى هذا الادعاء هى الابيات الموزونة التى اشرت اليها لا سيما :

الشطر الاول الذى هو :

العين تنحب من فراق غزالى

وتقطيع هذا الشطر :

(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ o)	(ـ o o)	(ـ o)	(ـ o)	(ـ o)	(ـ)
(الـ)	(عين)	(تنـ)	(حب)	(منفـ)	(را)	(قغ)	(زا)	(ل)
↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓	↓
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ب	أ	ب	ب	أ	ف	ب	ب	ب
1	2	3	4	5	6	7	8	9

أما العروبى فاننا نلاحظ ان بعض الاشطر منه موزونة فقط مثل الشطرة الخامسة فى العروبى تكون موزونة لو أدخلنا عليها بعض التغيير وقلنا :

وازنـت حكـرت الاوقـات

أو : حكـرت وزنـت الاوقـات

بـدلا مـن :

وزنـت حكـرت الاوقـــات

كذلك الشطرة السادسة من العروبى الاول :

لا حـد مـن حـد ســـالـم

فهى شطرة ثابتة كاملة فى ميزانها ٠

كذلك نلاحظ فى العروبى الرابع ان الشطـرة الاولى والـرابعة منه فقط موزونة وهى :

الايـام عـديتهـم مـــرض

وفى وسط ســوق المـدينة

وكان لزاما علينا ان نقوم بتنبيه القارىء الى هذا المثال وهو الاغنية :

العين تنحب من فراق غزالى

لاننا بصدد تقديم دراسة ولم نكن نقدم عرضا للشعر الشعبى ٠

أما الزحافات والعلل التى تضمنتها هـذه الاغنيـة وغيـرها من الاغـانى والقصائد المروية لنا من الادب الشعبى ٠ فسيأتى الحديث فيها فى بابها عندما

نقنن مصطلحات الزحافات والعلل التى تدخل المفـردات الايقـاعية للشعـر الشعبى ٠

أما فى هذه الرسالة فيمكننا تسليط الوزن على كل شطرة من الابيات او من العروبى لتعرف هل هى موزونة أم لا ٠

ولا يفوتنى فى هذه الرسالة أن أنبـه الى ان القصـائد الـواردة فى وزن البورجيلة لها هندستها الخاصة ، ولها بناؤها الذى يحسن بنا ان نتحدث عن أصوله وفروعه ، فى رسالة قادمة ٠

عبد المجيد بنجدو

تنبيه من ادارة « الفكر »

ليكن فى علم قرائنا الكرام أن نـادى الفكـر ـ 13 نهج دار الجلد تونس ـ مفتوح كامل اليوم وأنه يمكن الاتصال :

بـرئيس تحـريـر المجلـة

فى الأوقـات الاداريـة المعلومة وكذلك كل يوم جمعـة من الساعة الرابعة الى السادسة مساء ٠

حنينك اقوى !..

شعر : عبد الرحمان اللموشي

حنين ، كلمات مشحونة مشاعر وأحاسيس ، بعضها عصارة قلب ٠٠ وبعضها شظايا فـؤاد ٠٠ وعلى بعض بعضها تلمح بقايا دمعة عين ٠٠ تجمعت هذه مع تلك فكونت ديوان شعر هو **(حنين)** (*) ٠

ع٠ ل٠

حنيــــــن
ألم تر يوما كتابــا
غدا الحرف فيه شهابا ؟ ! .
ألم تقرا العمــر قصه
حديث الغــرام روت منه نصه ؟ ! .
فكــان الحنيـــن . .
وكــان الوفــاء . .
وكــان الصدود . .
وكــان الابــاء . .
صراع شـديــد
وقلب كبير عنيــد
لغير الوفا لا يلين

* * *

حنيــــــن
مشــاويــر نجــوى

(*) يشير الشاعر الى ديوان زبيـدة بشيـر الذى صدر منذ أشهـر قليلـة بعنوان (حنين) ٠

يبوح المتيم فيها بحبه
ضراعات تقوى
يخص بها المتصوف ربه
ولكن
حنينك أقوى ! . .
من الفيض اذ يغمر . . .
من النار اذ تسعر
وحتى من الحب اذ يكبر ! . .

* * *

حنين
أهازيج نفس أحبت
شظايا فؤاد تفتت
وكان وفيا امينا
فغنى ــ ولم يبك ــ لحنا حزينا

* * *

حنين
عصارة قلب
وحزمة شوق
ودمعة عين
أنا ما عرفت الحنين ،
ولا الحب حتى قرأت (حنينك)
ولكننى .. ما وصفت حنينك ! ؟ .
لان حنينك لا يوصف
حنينك فوق الذى أعرف ! . .

ع. ل.

الكاف ــ جوان 1968

الانسان الصفر

قصة تجريبية بقلم : عز الدين المدني

حـــزب الفجـــر

اقرأ(*)باسْمِ ربِّكَ الذّي خلَقَ خلَقَ الإنْسانَ منْ علَقٍ اقرأْ وربُّكَ الاكْرَمُ الذّي علَّمَ بالقَلَمِ علَّمَ الانسانَ مالم يعلم اقرأ باسم ربِّكَ الذِي غلَقَ غلَقَ الإنسانَ مِنْ غلَقٍ اقرأ وربُّكَ الاعْظَمُ الذِي علّم بالقلم كلَّمَ الإنْسانَ مالَمْ يعلمْ اقرأ باسم ربِّكَ الاعلم الذّي لَمَقَ فلَقَ الإنْسانَ الافْلَقَ مِنْ فلَقٍ اقرأ وربُّكَ الاكْتَمُ الذي درّس بالقلم الإنسانَ مالم يدرس اقرأ باسم ربِّك الاحلمِ الذّي فتق رتَقَ الإنْسانَ مِنْ خرَقٍ اقرأْ وربُّكَ الاشْفى الذّي لمَّعَ بالقلَمِ علَّمَ الإنسان الاشمى بالقلم الاشكى ما لَمْ يلْمعْ اقرأ باسم ربِّكَ الاشْمَى أذلى تمَقَ بعَقَ الاسنان الاشْهَى مِنْ بَرَقٍ اقْرأْ وربُّكَ الاكْرَمُ أذلِي لعَّمَ بالمَقَلِ ملَّعَ بِالْمقَلِ الإنْناسَ الارْقَمَ ما لمْ يلْعَمْ اقْرَأ باسْمِ أذّلي بشَقَ مِنْ شَرَقٍ بطَقَ الإسْنَانَ الاشْمَقَ مامَلْ يلْعَمْ من رَعَقٍ اقْرَأْ بآمْسِ بَرِّكَ الاكْبَرِ أذلِي فهَّمَ نسَاالإنْ الاصْغَرَ مالَمْ يَفْهَمْ اقْرَأْ

(*) هذا تعبير رجل يبحث عن نفسه من خلال عالم اللغة والاشياء · وهو يختلف باختلاف ساعات النهار والليل· وفيه من الغموض ما فى أنفسنا ، ومن البيان ما فى ألسنتنا · وقصته دورة كونية تنطلق من الفجر لتتلاشى فى الغسق · وأقسامها سبعة مواقيت متواترة· يستفيق الرجل وهو بين الحلم واليقظة ويعى نفسه والكون فى « **حزب الفجر** » وستتلوه أحزاب « **الصبح** و **الظهر** و **العصر** و **المغرب** و **العشاء** و **الشفع** و **الوتر** » ·

ـ المؤلف ـ

بامْس كَرِّبَ أذلي رتَق قَرَقَ نْسَانَ إلا من قَدق اثْرَقْ بآمْس

كَبَرَّ ذاْلِي أغرَق آنْسَالاِنَ بِالعَلَمِ الأقْحَرِ بالمقل أذلي الاغْصَرِ

لَكَمَّ مَلَّكَ الافوَى مِنْ شَعَقِ الادْهَي مِنْ دبقِ الانْظى من يَتَقَ

الارْهَى من فَرَقِ الافضى من شَبَقِ ائْقرْ واكْتبْ بآمْسِ ذَأْلِي شَهَقٍ

زَقَقَ نَهَقَ نَقَقَ من قَقَقِ الاشْرَى من كَرَقٍ

الأبْقَي من يَلَقِ الانْقَى من فِلَقِ الأتْقَى من ثَمَلَقٍ

الأرْقَى من تَشْلَقٍ نِمْ هَبَقِ ائقرْ وآتْكُبْ لاذي

عَلْمَلَ لَعَلْمَ مَعْلَع آمَدَ الاسْمَاءَ آدَمَ الامْسَاء كُلَّهَا مِنْ أبَقِ اقرْأْ

بامْسِ كَبِّلاَ ذي لَخَتَمَخَلَتَمَانْسَالِانَ مَنْعَلَق الَّذِي عَلَّمَ أحْرُفَ الهِجَاء

كُلَّهَا وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الاَخِيرَ فِي أحْرُفِ الهِجَاءِ كُلِّهَا المُطَرَّزَةِ

بالحَرِيرِ وَالدَّمَقْسِ مِنَ أشْتَقِ الملوّنة كُلِّهَا بِألْوَانِ السَّمَاء وَالبكاء

والدّعاء والنِّسَاء مِن هَجَقِ المُزَيَّنَةِ بالصَّاد كالصُّفْرَةِ بالحَاءِ

كَالحُمْرَةِ بِالبَاء كَالبَيَاضِ بِالزَّايْ كَالزَّرْقَة بِالخَاء كَالخُضْرَةِ

بِالسِّين كَالسَّوَادِ وَالمَدَادِ وَالعِبَادِ وَالعِنَادِ مِنْ بَضَقِ الأرْقَامَ

كُلَّهَا من بَتَقِ الاصْفَارِ كُلَّهَا من تَشَق الحُرُوف السَّبْعَةِ كُلَّهَا

من ثَرَقِ المُقَدَّسَةَ كُلَّهَا المُدَنَّسَةَ كُلَّهَا من رَجَقٍ من قَجَقٍ

المَقُولاتِ العَقْلِيَةَ العَشْرَ كُلَّهَا الَّذِي أعْرَبَ عَرَّبَ اسْتَعْرَبَ

أرْعَبَ الإعْرَابَ كُلَّهُ من ضمّ وتَقْبِيلٍ وخَفْضٍ وَسُقُوطٍ

وانْزِلاقٍ من رَبَقِ الَّذى رَبَّعَ الدّائِرَةَ وكَوَّرَ التَّرْبِيعَ والتَّدْوِرَ ونفخ

فِي النقْطَةِ وكَسَّرَ الخطّ الاسْوَدَ من الخطّ الابيضِ من فجقٍ

ولَبِسَ الظِّلّ وطَارَدَ المُسْتَحِيلَ من عَرَبِ الَّذِي يُعَلِّمُهُ الكِتَابَ

والحِكْمَةَ والتَّوْرَاتَ والإنْجِيلَ بِطيرٍ أبَابِيلَ الَّذِي خَلَقَ الإنْسَانَ

عَلَّمَهُ البَيَانَ فِي شَعْبَانَ ورَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ومَا أدْرَاكَ

مَا لَيْلَةُ القَدْرِ أبِأيّ آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذّبَانِ الَّذِي أتَاهُ الله المُلْكَ

والحِكْمَةَ وعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءَ الَّذِي علّمكُمْ فألْقَى عَصَاهُ فإذَا

هِيَ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ بَقْطَاءُ السِّحْرَ تَسْعَى الَّذِي مَا عَلَّمْنَاه الشِّعْرَ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبِينٌ إِنْ هُوَ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ أَلِفْ لاَمْ مِيمْ لِيمْ رِيمْ هِيمْ بَهِيمْ لَيْلٌ قِنَاعٌ رَهِيبٌ حَاء مَيمْ مِنْ حَمإٍ مَسْنُون (ألف نون سين) $^{(2)}$ = الإنسَانُ مَا أَجْهَلَهُ مَا أجمله مَا أَجْرَأَه أَلْبَتَا تُوثِرِي فِنْفْ حُطَيٌ وأنزلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ سِيمْثَا بالحَقّ مُصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَ مُهَيمِناً عَلَيهِ الذَّالُ والظَّاءُ والبَاءُ والبَاءُ والسِّينُ والصَّادُ والرَّاء والرَّاء والتفخيم والتعظيم والترقيقُ والتَّضعيفُ والتَّصْغِيرُ والتَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ والتَّقْوِيس هُو كِتَابٌ أحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمّ فُصِّلَتْ من لَدُنْ حَكِيم خَبِير وقُلْ لَئِنْ آجْتَمَعَتْ الإنْسُ والجِنّ على أن يَأتوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآن لا يأتُونَ بمِثْلِهِ ولوكَانَ بعضُهُمْ لبعض ظَهِيراً الإعْجَازُ والعجزُ والازْعَاجُ والزعْجُ والإجْزَاعُ والجَزَعُ

الخوف

والخَوْفُ والهَلَعُ والجُبْنُ والبَلَعُ والخَشْيَةُ والتَّلَعُ والرَّهْبَةُ وَالثَّلَعُ والرّعْدةُ والجلعُ والرّعْشَةُ والحلَعُ والضَّعَةُ والخَلَعُ والإحْتقارُ والرّلَعُ والإنْكِمَاشُ والزّلعُ والنَّذَالةُ والسَّلَعُ والرَّذَالَةُ والشَّلَعُ والفَزَعُ بَلْ هُوَالارْفَعُ هو الاعْرَفُ هو الاجْرَأُ هو الارْجَأُ هوالافْظَعُ هو الاضْعَفُ حينَ يُرْفَعُ الإنْسَانُ ويَفْرَعُ عِنْدَمَا يُشْفَعُ الإنْسَانُ النَّازِلُ ويُنْشَعُ لَمَّا يَهْرَعُ الإنْسَانُ المُنْحَدِرُ ويَهْرَعُ بَيْنَمَا يَضْعَفُ الإنْسَانُ المُتَدَهْوِرُ ويعْضفُ كَذَلِكَ يَزْفَعُ يَنْزَعُ المُضْمَحِلَ إِرَباً قَطَعاً شَتَتاً ويَنْزَعُ مِنْ بَحْرٍ زُجَاجِيّ مَنْ سَحَابِ مَوْجِيّ مِنْ حُلْمٍ مُعْجِزٍ مِنْ نَوْمٍ مُزْعِجٍ مُظْطَرِبٍ قَاتِمٍ عَلَيْهِ طبَاقُ العَتَمَاتِ سَبْعٌ حَوْلَهُ سَمَاءُ الظُّلُمَاتِ خَمْسٌ تَحْجِبُ أُفُقَهُ غَسَقَاتٌ تِسْعٌ تتنفَّسُ

مِنهُ غَوَارِبُ الكَلِمَاتِ وَلَوْعَةُ الانّاتِ يَفِيضُ عَلَيهِ زَبَدُ العِبارَاتِ
وَحُرْقَةُ الزّفرَاتِ تَكْتَنِفُهُ سُيُولُ الشّعَارَاتِ وحرَارَةُ الآهَاتِ
تَجرُفُهُ جُيُوشُ الخطَابَاتِ وتَمْحُوهُ جَحَافِلُ البَيَاضَاتِ
حَتّى الصَّمْتُ والسُّكُوتُ والسُّبَاتُ والسُّكُونُ أَفِقْ إِنَّاسَنُلْقِي
عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً انْهَضْ ورَبُّكَ الّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنْسَانَ
مِنْ عَلَقَةٍ من نُطْفَةٍ من بِزْقَةٍ من قِرْدَةٍ من مَاءٍ دَفّاقٍ حَيٍّ
بَيْنَ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ مِنْ خَلِيَّةٍ من دودة وَحْشِيَّةٍ وأَرْسلنا
عَليهم القملَ والجَرَادَ والخنَافِسَ الدّنَافِسَ والضَّفَادِعَ
وأكَلُونِي البَرَاغِيثُ والبَقَ والنّامُوسَ والجِرْذَانَ والاحْنَاشَ
والجَوَارِحَ والعَفَارِيتَ النّفَارِيتَ والمَرَدَةَ والشّيَاطِينَ والابَالِسَةَ
والجِنّةَ من نَارٍ وخَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ فَمَسَخْنَاهُمْ مَسْخًا
ثمّ قَبَرْنَاهُمْ قَبْرًا ثُمّ بَعَثْنَاهُمْ بَعْثًا ثُمّ حَشَرْنَاهُمْ حَشْرًا
ثُمّ أخَذْنَاهُمْ أخْذًا وهُمْ نَائِمُونَ مِنْ دودة مِنْ خَلِيَّةٍ وحشية
كَانَتْ تَعِيشُ فِي عَهْدِ حُمَمِ البَرَاكِينِ إذا الارضُ زُلْزِلَتْ
وشَقَقْنَا الارْضَ شَقًّا عَظِيمَةَ الخرطُومِ الفِيلُ ومَا أدرَاكَ
مَا الفِيلُ لَهُ خُرْطُومٌ طَوِيلٌ وَذَيْلٌ قَصِيرٌ عَجْرَاءُ البَطْنِ
نَحِيلَةُ الارْجُلِ غرِيغْوَارْ سَمْسَا نَتِنَةٌ كَالبَقَّةِ عَنِنَةٌ كَالقَيحِ
كَقَيءِ المُدْمِنِ السَّكِيرِ تَمْتَصّ دَمَهُ بعد الممات فِي بَاطِنِ الارْضِ
تَنْهَشُ جُثّتَهُ فِي عُمقِ الخَنْدَقِ تُخَرّبُ مُخّهُ فِي ظُلْمَةِ
القَبْرِ المُنكَرُ تَقْتَلِعُ فُؤَادَهُ فِي فَوْهَةِ النّعجِ القَلْبُ والحُبّ
تَنقُرُ كَبِدَهُ كَالعُقَابِ الّذِي يَنقُرُ دَوْمًا كَبِدَ ذلكَ المُتَأَلِّه
فِي دَيجُورِ الشّعَابِ الحُرّيَةُ لا تَسْتَأْصِلُ نِيَاطَهُ فِي سَحِيقِ الشّقِّ
الجِنْسُ تَخْلُقُهُ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ النّبِيِّ الجَمَالُ يَوْمَ
النُّشُورِ والثُّبُورِ والحسَابِ والعِقَابِ لكن أنَا وأنْتِ ونَحْنُ وهُوَ
وهُمْ لَا نَخضَعُ لانَسْتَسْلِمُ لاتَسْتَصْغِرُ لانَنْحَنِي لا نَرْكَعُ لاَ
نَسْجُدُ لا نَذِلّ ولا نَبْتَذِلُ لانَنْدَثِرُ لا نَمّحِي لا نُمْسَخُ لانُسْتَأْصَلُ

لا لا

أَنَا العَارِي تَرَكْتُ دِيوَانِي فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تَسَرْبَلْتُ بِالبَيَاضِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ أَنْتِ الغُمُوضُ فَأَيْنَ البَيَانُ هُوَ+ يَ العُجْمَةُ فَأَيْنَ الإِيضَاحُ هُوَ+ يَ الإِرْهَابُ فَأَيْنَ النِّظَامُ نَحْنُ الإِنْسَانُ فَأَيْنَ الرَّبُّ أَنَا الانَا فَأَيْنَ النَّحْنُ أَنْتَ الحُرِيَّةُ بلا جَنَاح هُوَ العقلَ بِلا فَلاحٍ نَحْنُ اللُّغَةُ بلا صَلاح هُمُ التَخَلُّفُ بِلا صبَاحٍ هُمُ الحَاضِرُ بَلا حَيْرَةَ أَنَا الكَلِمَةُ المَحْظُورَةُ أَنْتَ الثَّورة المَكْبُوتة هُوَ الانْطِلاقَةُ المُحَرَّمَةُ نَحْنُ المسِيرَةُ المَفْلُوجَةُ أَنْتَ الضَّوْضَاء الصَّامِتَةَ هُوَ الضَّجِيجُ السَّاكِنُ لكن أنا الامَلُ وأَنْتَ وهُوَي ونحن أنا المَاء وأَنْتَ الطِّينُ لكِنْ أينَ البِنَاء سأبْنِيكَ يَاوَطَنِي سَأَبْنِيكَ بالحُرُوفِ البَيِّنَاتِ بالكَلِمَاتِ النيِّرَاتِ بالعِبَارَاتِ المشرِقات بالمَعَانِي البليغَاتِ سَأَبْنِيكَ يَا وَطَنِي بالقَلَمِ الثَّورِي بالنثر الكِفاحي بالشِّعرِ النِّضَالي بالاسْلُوبِ المُتَمَرِّدِ التَقَدُّمِي بالتَّعْبِيرِ الشَّعْبِي الحَي النَيِّ سَأَبْنِيكَ يَا وَطَنِي بالفِكْرِ الفَاعِلُ دَوْماً بالفِعْلُ المتأمل دَوْماً بِالجَهْدُ المُتَوَاصِلِ دَوْماً حتى يفنى الجهْدُ دَوْماً سَأَبْنِيك يَا وَطَنِي بِنَحْوِي وبصرفِي بالرَّفعُ والعَلاءُ والسُّموّ بالجَبْرُ ولا بالكسرِ

بالنَّشَاطُ ولابالنَّصْبِ بالحَرَكَةُ ولا بالسُّكُونِ بأحْرُفُ
الدَّوَاء والشِّفَاءُ وَلاَ بأحْرُفِ العِلَّةِ والمَرَضِ بالفِعْل
الحر
الكَامِلُ ولا بِالفِعْلِ النَاقِصِ بالمَسْمُوحُ والحر الحر الحر

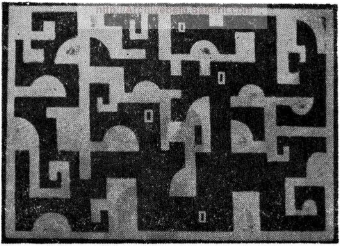
الحُرّ الحر الحرالحر ولاَ بالمَمْنُوعِ منَ الصَّرْفِ سأبْنِيك يَا وطَنِي سَأَبْنِيك بالخَيَالِ الخَلاَّقِ بالحِسِّ الدَفَّاقِ بالعَمَلِ الصَّدُوقِ المِصْدَاقِ ولابِوحْيِ الرّسُلِ والانْبِيَاء ولا بسِحْرِ كلامِ الدَّجَّالِينَ البُلَهَاء ولابِسفُسْطَاء الحُكَمَاء الادْعِيَاء ولا بِالشِّعَاراتِ السَّرَابِ للزّعَمَاء الهُجَنَاء ولا بِكَلِشَيَاتِ الصَّحَافِيينَ الاغْبِيَاء ولا بِتَأَنُّقِ الادَبَاء السُّخَفَاءُ ولا بالعُرُوضِ المُتَزَمِّتِ للشُّعَرَاء فَجِّرْ الكَلِمَاتِ فَجِّرْهَا مِنْ

قُوَّتكَ مِنْ نَفْسِكَ اخرجْهَا مَنْ لا نُورَ فِي عَقْلِهِ لاَ يَهتدى
لاتَمْشِ فِي ظِلِّ غَيْرِكَ فَتفْقِدَ ظِلَّكَ وضَلاَلَكَ مَنْ لاحُبَّ
فِي فُؤادِهِ كَيْفَ يَعْرِفُ الحُبَّ لا تَتَكَلَّمْ بِلِسَانِ غَيْرِكَ

الصمت

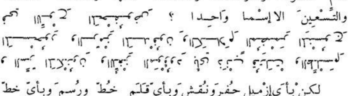
فَتَلُوكَ دَماً عكراً العَيْنُ لَهَا أَلْفُ مَعْنَى لكِنْ
عَيْنُ الشمسِ تَجْهَرُ الوَصَايَا العَشْرُ أَعْمِدَةُ الحِكْمَة
السَّبْعَة أُنْشُودَةُ الاناشِيدِ الاعَاجِيبُ السَّبْعُ
المُعَلَّقَاتُ العَشْرُ أو السَّبْعُ أو الخَمْس أو لا شَيْء الاَّ
الكَلامُ المَنْسُوجُ المُعَلَّقُ على الاسْتَارِ قِيلَ لِلَوْرَنْس
العَرَبْ لِمَ تُحِبَّ الصَّحْرَاء قَالَ أُحِبُّهَا لِنَظَافتِهَا
ونَقَاوَتِها لا تَنْسَ أيْضاً يا هَذَا سُؤَالَ المَلَكَيْنِ قُلْ لَهُمَا
إِنِّي المُتَنَازِعُ مَعَ الدُّنْيَا المُتَخَاصِمُ مَعَ الآخِرَةِ إِنِّي الثَّائِرُ على
الحَيَاةِ المُتَمَرِّدُ عَلَى المَوْتِ إِنَّا نَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّا نَعرِف
مَا فِي النُّفُوسِ الخَنُّوسِ الوَسْوُوسِ الخَنُّوسِ والنَّاسُ يرتِلُ
+ يُحَمْدِلُ + يُحَوْقِلُ + يُبَسْمِلُ + يُصَلْعِمُ + ـون والنظرات
الزَّائِغَةُ والوُجُوهُ المُمتقعة والشِّفَاهُ المرتجِفة ونَحِيبُ النِّساء
والبُكَاء ثُمَّ الصَمْتُ آخر كَلِمة الصَّمْـتُ آخِرِ كَلِمَةَ الصمت
إلاَّ مَضْغُ الخُبْزِ فِي أفْوَاه الجَائِعِينَ السَّائِلِينَ فَلاَ تَنْهَرْ الشحاذين
المُقْرِئِينَ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعِ أَمَّا أَنْتَ فَلاَ تَسْأَلْ بل
أَجِبْ أَجِبْ دَائماً وَاصْمُتْ وَزَهْرٌ أَصْفَرُ يَابِسٌ ونَبَاتٌ حائل
وَقُبُورٌ قَدِيمَةٌ مُعَفَّرَةٌ عَلَيْهَا عَمَائِمُ مَنْحُوتَةٌ مُطَحْلَبَةٌ

تُحَدِّقُ فيكَ بِألْفِ عَيْنٍ خَفِيَّةٍ فَتَرْتَجّ عَلَيْهَا بَرَانِسُ زَعْفَرَانِيَةٌ تُسَدِّدُ فيكَ ألْفَ عَيْنٍ دَفِينَةٍ فَتَهْتَزّ لَهَا نِعَالُ أُرْجُوَانِيَةٌ تُبْصِرُ إلَيْكَ بِألْفِ عَيْنٍ ضَغِينَةٍ مُشْتَمِلَةٌ على أحْزِمَةٍ خُزَامَوِيَّةٍ تَتَّهِمُكَ بِألْفِ عَيْنٍ صَفِيقَةٍ فَتَثُورُ واسْرَافِيلُ يَنْفَخُ الصُّورَ فَتُنْشِدُ حِزْبَ البَحْرِ تَحْتَ سَمَاءٍ لازَوَرْدِيَّةٍ مُنْتَفِخَةِ الاوْدَاجِ شَمْسُهَا مُتَقَلِّبَةٌ فَاضَتْ عَلَى الدُّنْيَا وغَمَرَتِ المَقَابِرَ بِبَيَاضٍ دَقِيقٍ لألاءٍ مُتَمَوِّجٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُ بَعْضاً فَيَخْرُجُ النَّمْلُ العَظِيمُ الاحْمَرُ هَنِيءُ البَطْنِ رَيَّانَ يَتَلَمَّظُ سَبِطَ المِشْيَةِ يَخْتَالُ مُرْتَفِعَ القَنَا وَقَدْ نَهَشَهُ وعَيْنَيْهِ ولِسَانَهُ وشَفَتَيْهِ يَجِفُّ جِلْدُهُ ثُمَّ يَيْبَسُ ثُمَّ يَتَقَشَّرُ ثُمَّ يَتَلَحَّى ثُمَّ يَتَكَسَّرُ ثُمَّ يَذُوبُ ثُمَّ يَخْتَلِطُ ثُمَّ يَمْتَزِجُ بِالتُّرَابِ كَالغُبَارِ كَالسَّمَادِ بِالطِّينِ بِالحَمَإِ المَسْنُونِ بِالصَّلْصَالِ الإنْسَانُ عَجِينَةُ الارضِ بَلْ هُوَ نُسْغُهَا





بَلْ هُوَ حَيَاتُهَا بَلْ هُوَ مُكَيِّنُهَا بَلْ هُوَ صَانِعُهَا بَلْ هُوَ رَبُّهَا ذَلِكَ الإِنْسَانُ لاَ رَيْبَ فِيهِ الاعْلَى الاعْمَى الَّذِى أتَاكَ يَدُبَّ وَيَسْعَى وَبِيَدِهِ عَصاً مَلْسَاءُ وأنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى مِن بَشَقٍ ذَلِكَ الظِّلَّ الضَّلِيلُ الَّذِى ضَاعَ لاَشَكَّ فِيهِ تَلَقَّى غضْبَة غَضْبَاءَ مِنْ طَرَقٍ والسَّمَاءُ والطَّارِقِ ذَلِكَ الشَّبَحُ الرَّقِيقُ النحيل الهَزِيلُ الَّذِى تَاهَ فِي الصِّيَاصِي تَسَجَّى مِنْ دَسَقٍ قَاوَمَ وَتَصدَّى كَافَحَ وَتَلَظَّى مِن ضَضَقٍ ثُمَّ تَأَلَّهَ فَأنْسَنَ ثُمَّ عَلاَ فَنَزَلَ ثُمَّ عَرَجَ فَهَبَطَ وسَقَطَ وعَلَى الدُّنْيَا بَقَقَ وفيهَا عَمَقَ واليها غَفَقَ وَبِهَا غَرَقَ تَرَوَّى من هَأَق ذَلِكَ الشَّيْءُ الحَقَرَةُ البَقَرَةُ الهَنَدَةُ البَرَكَةُ الفَجَرَةُ الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ العُمَزَةُ الَّذِى خَلَقَهُ خَلَفَهُ مُنْ سَلَقٍ تَشَكَّى مِنْ فَكَقٍ فَنَشَرَهُ ثُمَّ أمَاتَهُ تَمطَّى من كَغَقٍ فَأقْبَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يسَّرَهُ تَعَدَّى من فِسَقٍ وَعَلَّمَهُ آدَمَ النُّعُوتَ والأوصَافَ والصِّفَاتَ كُلَّهَا والاسْمَاءَ التِّسْعَةَ والتِّسْعِينَ الا إسْما وَاحِدا ؟



لكِنْ بِأَىِّ إزْمِيلٍ حُفِرَ وَنُقِشَ وَبِأَىِّ قَلَمٍ خُطَّ وَرُسِمَ وَبِأَىِّ خطٍّ زُيِّنَ وَزُوِّقَ وبِأَيِّ فَنٍّ حُلِّيَ وعُظِّمَ وبِأَيِّ فِكْرٍ دُبِّرَ وَوُعِيَ

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الاَّتُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ
إلاَّ رَمْزًا وإشَارَةً ولُغزاً ألاَّ تُخَاطبهم خَمْسَةَ أيَّام إلاِ
لَغْواً وَهَذَيَاناً وَهَذَراً وكَلاَماً رَغْواً رَهواً ألاَّ تُنْشدَهُمْ
سَبْعَةَ أيَّامٍ إلاَّ نَشَازاً وَكَزَازاً وَهزَازاً لِيَتِيهُوا فِي بُرُوجِ
الكَلِمَاتِ كَي يَضِيعُوا فِي مَتَاهَاتِ الكَلام حتَّى
يَضْمَحِلُّوا فِي نَوَاعِيرِ القَوْلِ حَتَّى يُمْحَقُوا فِي رَحى اللُّغَةِ
إنْسَانَنَا هَذَا كَلامُنَا وهَذِي فِعَالُنَا اهدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم
صِرَاطَ الّذين آمِينَ اطْعمنَا هَرْقَمَـةً بالْكَرْعين وَلاَ تَقْتُلْنَا
بالإمْلاَقِ يَا عِمْلاَقْ وقَدْ التَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقْ يَوْمَ المَسَاقْ
بَيْنَ المِعْرَاجِ والفِرْنَاقْ بِهِ عَيْنُ النَيْضِ والإشْرَاقْ فِي جُزُرِ
الواقواق ذلكَ هُوَ حُلْوُ المَذَاقْ مِنَ العَطْفِ والإشْفَاقْ الراكِبُ
على البُراقْ مَعَ اللُّصُوصِ والسُّرّاقْ مِنَ السُّمَّ والتِّرْيَاقْ بِالعوز
والإمْلاقْ والإشْتِيَاقِ من سَبَقَ انْسَانَنَا نجَّنَا مَن الشِّقَاقَ
والنِّفَاقِ ومُسَاوِي الاخْلاَقَ من سَهَقَ بلَى إنَّهُ الصُّنْدُوقُ المِصْدَاق
بَلى إنَّهُ اللِّسَانُ العربِيِ المُبِين مِن شرق قُمْ أيُّهَا المُدَّثِّرُ
العَارِي الآكِلُ الطَّاوِي انْهَضْ الفَجْرُ قد انْفَلَقَ الصبحُ قد أبْلَجَ
الضِّيَاءُ قد انْتَشَرَ قُمْ طَهِّرْ ثِيَابَكَ فَكَبِّرْ اسْتَيْقِظْ الخَطَّ
الاسْوَدُ قد انْفَصَلَ عَنِ الخَطَّ الابْيَضِ الفَجْرُ انْفَجَرَ بعد بَعْدُ
بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ بَعْدُ

بَعْدُ

ع٠ م٠

سأقذف بلعبتي

شعر : فضيلة الشابي

سأقذف بلعبتى
بقنبلتى
التى صنعتها لى
أمى ..
فى ليلة شتائية
بأصابعها الدامية
ونظراتها المثقلة
بالرؤى الجهنمية

* * *

سأقذف بقنبلتى اليدوية
مع أولاد حارتنا ..
سنحقق الحلم المشترك
سنلعب اللعبة الكبرى
سوف نصبح أبطالا
فى أوحال حارتنا ..
بقنبلتى اليدوية
سوف نضيئى الطريق ..

* * *

يقال اننى طفل جريىء
رضع اللهيب مع الحليب
وحذقت خطواته
شعاب الليل المريب

* * *

حيـــن يبعـــث الفجـــر
سنحـول مجـرى السـاقية
ساقيـــة التـــاريخ
وبـأيدينــا الداميـــه
سنـرسـم صـــورتنــا
فى المـــجرى ..

* * *

وفى المقبـــــره
وعـــلى تخـــوم الحيـــاة
ستقــــف أمـــواتنا
لتتـأمـل صـورتنـا
الســـــــوداء ..
فى المجـــــــرى
قـــرب انعكـــاس
الشمـس .. والسمـاء

* * *

بلعبتــى
سأحطـم دمــى سكنـت نظـرى
بقنبلتــى سـأشتت جـرادا حجـب أفقـى
سأضـرم نـارا بأرضـى السـوداء
ستبتسـم أمـى للرفقـاء
ابتسـامة افـريقية ..
وستنسـج حلـة بيضـاء
مـن الصبـاح ...
لحـامل القنبلـة اليـدوية

ف. ش.
1968 – 9 – 30

ندوة القرّاء

رد على نقد

بقلم : الطيب الرياحي

لقد تفضلت مجلتنا « الفكر » فى عددها الصادر يوم 10 ـ 7 ـ 1968 بنشر قصيد لى موجه الى شاعر غزلى ٠٠ وكنت قدمت القصيد برسالة جاء فيها : « ٠٠ بالتعاسة الحرف !! لقد وقع حبسه فى الابراج العاجية حيث العطور والخمور والحرير والمرايا ، حيث النفاق والجبن والميوعة والانحلال ٠٠ قد ألبسوه الفساتين وسقوه الرضاب وقطفوا له الحلمات ليمضغها و « يقتل بها الوقت » حتى اذا ما شعر بالارهاق فرشوا له الحرير وغطوه بالضفائر الطويلة وجعلوا له من قوارير العطور وسادة ٠٠ » وعلقت « الفكر على هذا الاثر فى نفس العدد وقالت بالخصوص : « ان فى موقفك تنكرا غريبا للتراث العالمى ولما يزخر ويفخر به تاريخ الادب من آيات وروائع ٠٠ » ثم فتحت لقرائها الكرام باب المناقشة ٠٠

وطالعتنا مجلتنا الغراء فى عددها الماضى بمقال تصدى فيه صاحبه ينقد هذا الاتجاه الذى أدعو اليه فألف شكر له على هذه البادرة الطيبة التى تخدم الادب بحق وان كانت تخالف اتجاهى ٠٠ وسأحاول فى هذه الاسطر بيان وجهة نظرى بوضوح فى خصوص هذا الخلاف « الطيب » :

لماذا كانت دعوتى شاملة

يعاتبنى الاخ الناقد وهو الطالب على الطرابلسى على هذه الدعوة الملحة بقوله : « ٠٠ كان عليك أن ترفعها لنفسك لانها دون شك ترسم خطة وتعبد طريقا لن يدرج عليها سواك ٠٠ » اسمح لى بأن أقول لك أن هذه الدعوة لم تخطر ببالى فجأة فأعجبتنى وبادرت بنشرها بين الناس ليحكموا لها أو عليها وانما أختمرت طويلا فى فكرى ثم أستحالت الى مبدأ أصبح عسيرا على التخلى عنه مهما كانت الانتقادات ٠٠ هذا المبدأ الذى دفعنى ويدفعنى اليوم الى أن أشعر غيرى بضرورة التخلى عن الشعر الغزلى وأقنعه بجدوى معارضته له ولهذا السبب كانت دعوتى شاملة ٠٠

هدف الدعوة ومفهومها

اعلم اخى الناقد أن هدفى من هذه الدعوة هو اجبار الشاعر الغزلى على التخلى عن نشر شعره أولا وعن كتابته ان أمكن لانه عديم الفائدة ‥ قد تقول ولكنه شعر ! والشعر من فعل شعر أى أن ذلك الشاعر لا يحرك قلمه ، ويكتب قصيدة فى المرأة الا بعد أن مر بتجربة صادقة فى هذا المجال ‥ ولكنى أقول لك : لما كان الشعر الغزلى وليد التجربة كبقية الاغراض الشعرية الاخرى فلا بأس أن يسجل الشاعر عواطفه حتى يرضى مشاعره ويرضى الفن بالدرجة الاولى ثم يحتفظ بذلك الشعر فى مذكراته وأن لايحاول نشره أو اذاعته فيما بعد ‥ هذا هو مفهوم هذه الدعوة وهدفها فى آن واحد ‥

الثورة الادبية والواقع

ليس هناك فرق فى نظرى بين الثورى والثائر ‥ وليس هناك موقف سلبى يميز الثورى ولاموقف ايجابى يتصف به الثائر لان كليهما له دور هام فى تغيير الواقع ‥ فالاديب الثورى بكتاباته الجريئة الهادفة يخلق جيلا ثائرا قادرا على الوقوف فى وجه العراقيل دون رهبة ‥ وبذلك يكون الاديب الثورى قد خدم الواقع بصورة غير مباشرة ‥

وليس الادب كما تقول « سجلا للبطولات والهزائم » بل « هو وسيلة لكسب المعارك الدولية فى أغلب الاحيان » وبهذه المناسبة لا أريد أن أرجع بك ـ أخى الناقد ـ الى الكتب الصفراء التى تحدثك فى ارتعاش عن الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ودور كل منهما فى حرب البسوس ولكن لتقف معى قليلا نقلب تاريخ الشعوب فى العصر الحديث محاولين الكشف عن الاسباب التى جعلت الشعوب تثور لنفسها وتحاول تغيير واقعها ‥ سنجد حتما أن الادب كان احد تلك الاسباب التى مهدت للثورات الانسانية الكبرى‥‥ولنأخذ مثالا على ذلك الثورة الفرنسية التى ما كانت لتكون لولا العقد الاجتماعى لروسو الذى اعتبره المؤرخون « انجيل الثورة الفرنسية » ومؤلفات غيره من الكتاب والمفكرين ‥

مأساة القارىء العربى

مازال القارىء العربى يمشى فى خيلاء على نقش « الجنس اللطيف » ‥ ومازال يستهويه الركوع للضفائر الطويلة والابحار فى العيون الزرق وتأديب النهود الثائرة ‥ هذا القارىء الذى سيصبح فى يوم ما ـ اذا لم يتطور ـ حيوان سرك ‥ وسيطلب الطفل الغربى من أبيه ثمن تذكرة الدخول الى السرك ليتفرج عليه ويضحك ملء شدقيه ‥ نعم هذا هو المصير المؤلم

الذى ينتظر القارىء العربى فى صورة ما اذا لم يحاول الخروج من الهوة التى تردى فيها منذ قرون وتوفير الوسائل التى تمكنه من ذلك وتحطيم النقش الذى كان يمشى عليه فى خيلاء ..

وبعد .. ليس فى مستطاعى أن أقنع الاخ على الطرابلسى وغيره بجدوى اتجاهى الذى أدعو اليه ، وليس فى مستطاعى أن أقنعه بأن شعرى « شعر » وليس تشاعرا كما يعتبره .. لذلك فخير ما أفعله هو أن أواصل السير فى هذه السبيل الشريفة التى رسمتها لنفسى وأن أصلى « صلوات وصلوات للحرف المناضل » كما فعل ويفعل أخى الشاعر أحمد القديدى ..

ط. ر.

ـ تونس ـ

ظهر حديثا :

من روائع المسرح

يــرمـــا

تأليف : **قارسيا لوركا**

تعريب : **توفيق عاشور**

عز الدين الشواشى

الدار التونسية للنشر

المرأة والنضال

وثلاث قصائد في العدد الاخير من «الفكر»

بقلم : الطاهر الهمامي

1 ـ ثلاث قصائد نشرت في العدد الاخير من مجلة الفكر ، تعلقت رغبتي بمناقشتها خاصة وأنها جمعت بين اتجاهين متباينين ، بين ما يعتبره دعاة الاتجاه الاول شعرا مجندا ، أو ملتزما ، أو مناضلا أو ما يريدون ، وبين ما يسمونه « مترفا » أو « برعاجيا » أو « صالونيا » ـ والتسميات كثيرة ـ ويقيمون الارض عليه ويقعدون كأنما هم ليسوا من طينة آدم ، ولا أكلوا التفاح مع حواء في ظل دوحة خضراء وارفة ، فتراهم يتصيدون الفرص سواء في النوادي أو الصحف الادبية لينقضوا على أصحابه انقضاضا • يتفهون من شأنهم ، ويرمونهم بالسخف تارة ، وبالخيانة أخرى ـ قد تقول : وأي شعر يبتغون ؟ فيجيبونك على لسان كثير منهم أنه الشعر الذي يساهم في المعركة ، ويتكرس لترديد صدى الاحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والتغني بالاشتراكية والحرية والجياع والكادحين •• ويضيف البعض الآخر منهم وهو كذلك الشعر الذي لا يخضع لاية قاعدة موسيقية • ولست أدري ما جدوى الخوض في مسالة كهذه ، والناس مجمعون على أن لا شعر بلا ايقاع ، والنفس البشرية من طبعها ميالة الى النغم تطرب له وتهتز ، بالاضافة الى ماله من قوة تعبيرين ومن ايحاءات يعجز عن توفيرها الكلام العادي • ولعل أوضح دليل على ذلك مثال تلك السيدة الالمانية التي كانت تستمع الى قصيدة عربية حديثة مسجلة، ولم تستطع متابعتها الا من حيث هي صورة موسيقية ، واذا بها لما سألوها قد فهمت الكثير من مجرد سماعها لاصوات لا تفهم لها دلالة • وقد نشأت بفرنسا في وقت من الاوقات مدرسة ترمي الى التعبير الفني عن طريق مجموعات صوتية لا معنى لها غير أنها تؤثر بجرسها • الا أن هذا لا يعني عندنا امكانية فصل موسيقى الكلمة عن مدلولها •

2 ـ يرفضون المرأة ويرفضون من يتغنى بمفاتنها ، وكأنما الجمال ما كان يوما أخا للنضال • وكأنما المرأة ما حمست جبانا ، وما زغردت في وجه مخذول فتراجع الى خط النار وقاوم حتى سقط فداء للزغردة ، وكأنما هي ما

بعثت أمل الشفاء فى نفس مريض ولا أمل النجاح فى نفس خائب ، ولا أزالت الغربة وأذهبت الوحشة ، ولا أوحت لعظماء الفن البشرى بأروع الالحان وأبدع القصائد ـ وقد قيل : « كل عظيم وراءه آمرأة » ٠

وانما لو حللت مواقف هؤلاء بالاعتماد على علم النفس الحديث لالفيتها فى أغلبها ، ان لم تكن متكلفة ، ناتجة عن أسباب نفسية معينة ٠ والا فاى نفس بربك لا تحب الجمال وتتشهاه ، جمال الزهرة والفراشة والبحيرة والمرأة جمال الشعر وشعر الجمال ؟

« قمرى هاجر فى الصبح بعيدا

فى العيون العسلية

والمدينه

كنست كل المغنين ٠٠ وريتا

بين ريتا وعيونى بندقية »

هكذا يبسط محمود درويش أحد الشعراء الفلسطينيين المقيمين فى الاراضى المحتلة مأساة حبه ـ وهكذا تمتزج « العيون العسلية » « بالبندقية » فهل يضير القصيدة فى شيء أن كانت الدماء تسيل على خط النار ؟ وهل ينقص من قيمتها كأثر فنى ؟ كما هل يضير جعفر ماجد أو نور الدين صمود أنشغالهما بتعبد الجمال فى ركن من الاركان عندما كانت الدولة تتسلم المنشآت الجوية والبحرية فى بنزرت اثر الجلاء أو قبيله ؟ على أن النقاد الماهرين كثيرا ما يحاولون تفسير هذا « الشذوذ » الطريف ، ويجعلونه عنصرا من عناصر شخصية صاحبه ، وكثيرا ما يشذ العظماء

3 ـ صلاة للحرف المناضل

وهى أولى القصائد التى تطالعك فى هذا العدد ، للشاعر أحمد القديدى ، ويكثر فيها الحديث عن الخبز والجياع والتشرد والثورة والطغاة والحرية ـ تنقسم الى خمسة مقاطع لا تفرق بينها الا الارقام ، ويجمعها الاصرار على رفض « القوالب المعلبة » وعلى تمجيد الحرف المناضل فى سبيل قضية الانسان

وقد جاءت على بساطتها ويسرها محكمة العبارة ، غنية الايحاء ، جميلة الصور ، يقول فى مطلعها :

« باللغة الجديدة

بالكلمات الحرة المجيدة

بالنار تحتوى مقاطع القصيدة

صنعـت كبـريائى

فالصمت ليس خبزا يشبع الطفولة الشريده

وليس ثوبا للعراة فى مجاهل الشتاء ٠٠ »

وانك لو واصلت قراءتها وفتشت فى كلماتها وصورها وايقاعاتها لاشـك واجد أصداء من عبد الوهاب البياتى خاصة فى ديوانه « النار والكلمات » ونزار قبانى فى قصائده الاخيرة ، وبول ايلوار فى « حرية » ٠ الا أن القديدى قد تمكن على ما يبدو من وعى وهضم المادة التى طالعها ، والتفاعل معها ٠ غير أنى ألاحظ تناقضا طفيفا بين تعلقه بكبريائه ورفضه للصمت اذ الكبرياء عادة مـا تكون مقترنة بالاعراض والصمت ٠ وكذلك بين تغنيه بالعيون السودفىموطنه وبين قولـه :

« الشمس فى بلادى

أحب من عينيك يا صديقتى الاثيره ٠٠٠ »

كما أعتقد أن الزمن الذى يتغنى فيه بالحرية ، ويتوعد الطغاة قد ولى ، ولم تعد الاهمية والتأثير اللذان لهذا النوع من القصائد هما نفسهما اللذان كانا له قبل عشرين أو ثلاثين سنة مثلا ـ ولعله من المفيد ـ ما دامت القصيدة تخضع لقالب موسيقى معين ـ أن أشير الى بعض الهنوات العروضية التى لا تضير أناقتها فى شىء ٠ من ذلك قوله :

تحت الخيام لا تعرفنا الديار

أو :

اخواننا مشردون عبر العالم المنهار

وغيرهما من الاسطر التى تختل ايقاعاتها ـ وان كنت اتحرج من تفكيك ما أعجبنى من الشعر ، وأعجب لامر أناس اذا ما أنشدتهم شعرا لا يهتمون منه الا بمدى صحة موازينـــه ٠

4 ـ خطيـــب

وهذه قصيدة قصيرة للشاعر الشاب رياض المرزوقى ، تقابل سابقتهـا

فى الاتجاه وتمتاز بخفتها وعفويتها وانسجام كلماتها وجمال ألوانها على أن بها من العبارات والالوان ما ليس بجديد ، كالبعد واللهيب والخطوب والزورق الذى حطمه الموج على صخر النحيب وقـوله : آه منـى ! ذكريـاتى عذبتنى يا حبيبى • الا أنك لو وضعتها فى مكانها من انتاج الشاعر لالفيتها تمثل نغمة جديدة فى تجاربه العاطفية اذ هى بداية التفات وتأسف وذكرى

والغريب أن رياض مازال بعد لم يتأثر ـ حسب ما نشرله ـ بقضية من قضايا الانسان (ان تحدثنا بلغة الاتجاه الاول) • فبقى شعره مقصورا عـلى هذه الفتاة التى كادت تستنفد كل طاقاته

5 ـ **فتيـات صـلامبو**

هذا قصيدى أترك فيه النظر لغيرى •

ط• ه•

تونس فى نوفمبر 1968

بوادر نقد أم تظاهر ...

بقلم : علي الشملي

يعتقد الطيب الرياحي جازما أن « دعوته الخفية » الى أن يحمل الشاعر الفأس ويزيل الطحالب ويخصب التفكير.. لم يهضمها بعضهم لانهم يحرصون بكل طاقاتهم على توفير ما يعجب القارىء **المتخلف** الذي مازال يمشي على نقش الجنس اللطيف..

قبل التعرض الى ما جاء في ملاحظة الاخ من اخطاء لا بد أن أقول له اذا كان لا يعرف ان هناك من يقيس الانتاج بمقياس مستعار لا يعتمد الى ما كان أشار اليه العقاد من أن « الاذواق الحية تحل محل القواعد الدراسية » ليس في هذا ما يشير الى أن العقاد أصاب أو أخطأ انما أردت ادراج هذه الكلمة حتى أذكر الاخ الطيب الرياحي بأن ما يسميه نقدا لقصائد أو لغيرها ضروري أن يكون نداء عقل الى احتضان انتاج عقل وبالتالي أن يكون ثورة هادفة على الانتاج لها مقاييسها واعتباراتها وخصائصها وكما قال السيد الرئيس عن النقد « أنه يفتح عيون القراء وأذهان المستمعين على مواطن الجمال والقيم والاثر المدروس وبالتالي يخلق فيهم تأثرا ايجابيا ورد فعل سليم..»وأنا ما أظن أن الذي يمشي — على نقش الجنس اللطيف متخلف — لانه اتخذ وجهة لا يمكن أن نعتمدها لتكون معيارا للتقدم او التخلف باعتبارها كانت الهمت وسوف تلهم الكثيرين وما أظن أن القارىء في تونس هو من هذا النوع ذلك أنه استطاع في اكثر من مناسبة — والحالة هذه — ان يلاحظ للاخ الرياحي أن امره للشعراء « بسلوك مسلكه ضرب من الغرور والتيه — وأقول حتى من التظاهر والادعاء..

ثم مسألة هضم بعض الشعراء لما تتضمن دعوة الرياحي الخفية — ولسنا نعلم لماذا هي خفية — امر يتطلب كبير تفسير ذلك أن الاخ ليست له آية صفة يجبر بها الشعراء على طرق المواضيع المعينة حتى تكون القصيدة — حسب رأيي ان كان لي رأي — « ذات نفس خطابي اقوى من النفس الشعري » الشيء الذي يجعل النقاد يعيبون هذا الاتجاه على الشعراء كما وقع هذا من القديم وكاد النقاد يخرجون معلقة الحارث بن حلزه من عداد المعلقات العربية الكبرى

ثم ان دعوة الرياحي من شأنا أن تعقد الاتجاهات الفكرية الطبيعية وتـزيد فى اضطراب الحركات الادبية الهادفة .. ويكفى أن نقول غـاية الشعـر هى انعكاس وتصوير وتسجيل للحالات الداخلية والخارجية وبطبيعة الحــال ليس احلى من القصائد التى تترجم عن حقائق انسانية خالدة سابحة عبرالاحدود الزمان والمكان فيها من السمو والجودة ما يجعلنا نؤمن بان الحـق ـ مع الذى يمشى على نقش الجنس اللطيف ـ مثلما هو مع الذى ينتفض مع انتفاض الفقراء التائهين فى العمل والنضال والصمت ..

والاخ الطيب يعلم نفسه أن الشعراء الذين حملوا الفأس ـ كثيرون وأن الذين دعوا الى حمله عديدون لكنى ما أظنه يريد ـ والعمر عنده نضال وثورة واباء ـ الا ان يضم صوته مع الشاعر الفلسطينى كمال ناصر :

الى الذين مزقوا اسطورة القـدر

ولــونــوا تــاريخهـــم بعاصف الشرر

فحققــوا وجــودنــا ، فمــاج وانتصــر ..

ثم التعرض الى القصائد التى وردت فى عـدد اكتـوبر من مجلـة الفكـر كان فيه الرياحى مخطئا اكثر من أن يكون مصيبا والمسألة ليست مسألة كمال وانما ابراز خصائص لنوع من الانتاج الفنى لم يتوصل الى ابـراز الجـوانب الرمزية للانتاج ..

الاحظ انه لم يتعرض الى ذكـر صـاحب القصيدة الاولى ـ تحية المهدية ـ ثم ان الرياحى يتهم القصيدة التقليدية فى شكلها ومضمونها بعدمبلوغهاالمستوى المطلوب . وما هو ؟ لا شك انه يعرفه ونسى ان يطلعنا عليه مبررا بأن الجرى وراء القافية ـ هذه التهمة القديمة ـ هى سبب تعثر المعانى التى أشـار الى أنه ليس فيها تجديد وبأن الطريقة فى الموضوع تغلب عليها السطحية.سامحك الله يا أخ طيب فى هذا النقد الذى ليست له الخصائص التى تقضى بأن تفتح العيون والابصار الى مواطن الجمال والضعف معا ..

وينتقل الناقد بعد ذلك ليرى ـ الطفل على الشاطىء ـ يقيـم الدليـل على شاعرية جعفر ما جد وقدرته على الخلق بكلماته السهلة الممتعة ، وهى فرصة اخرى وجدها الرياحى ليبرز اتجاهه النضالى ويلفت انتباهنا من خلال الكلمات الموحية الى ـ الفأس ـ والواجب قبل ـ الجنس والنهد ـ ثم ينتقل ليأخذ على عبد المجيد بن جدو مغالاته فى ـ الهيام بجمال عينى حبيبته ـ وبعدما لا يشك فى استجابته لحرارة العاطفة ـ ونحن نشك فى أن الهيام بانواعه يسىء الى

الشخصية مهما كان تقدمها فى السن وأن لعبد المجيد كما لغيره الحق بالشعور بالجمال وبالهيام ـ بخضرة الامواج والبحر ـ فى عينى حبيبته ٠٠ ويواصل الرياحى جولته عبر القصائد ليصل الى عفيفى مطر فيفرض عليه لسنا ندرى لماذا ـ أن يحاذى شاكر السياب ويتخذ البساطة فى الصور والكلمات والتعابير (بدون تعليق) ومرة اخرى يتأسف لكون رياض المرزوقى ـ يتعثر فى ضفائر النساء ـ بنجاح فنى للقصيدة لا يهمه بقدر ما يريد من الشعر ان يؤدى وظيفة انسانية ـ وألاحظ له ان الحب وظيفة انسانية باعتبارها تخص الانسان وتصدر عن الانسان وهى تستجيب لاهم نزعات الانسان ٠٠

ولم يعد لى مجال بعد هذه الجولة الخاطفة فى هـذا ـ النقـد للقصـائد ـ الا أن اهمس للطيب الرياحى ما قاله العالم فرويد من آن « الابداع فى الميدان الفنى هو التنفس الطبيعى للكبت الجنسى عند الكـاتب ٠٠ » ثم بما أنـه ـ لا وجود لقاعدة ثابتة لفهم الامور فيتحتم التمسك بالاعتدال فى احكامنا ـ كما قال السيد الرئيس فى ملتقى هواة الادب ٠٠

ع٠ ش٠

ـ المنستير ـ

اقرؤوا فى الاعداد القادمة

- « الهيكلية تواجه قضايا الانسان » بحث : لأحمد القديدى
- « صراع الوقف » قصة : لرشيد الغالى
- « الشيخ أحمد » قصة : لمحمد باردى
- « وداعا أيها الماضى » قصة : لعلى الشملى
- « مقابلة مع الشاعر اللبنانى أنسى الحاج » أجرى الحديث : محمـد مصمولى
- « الأقزام » شعر : الطاهر الهمامى
- « يوم ليس من عمرى » شعر : قاسم عبد القادر
- « ماجد والشاعرية الحق » بحث : لابراهيم بن مراد
- « وجهك الاسمر » لفضيلة الشابى الخ ٠٠٠

أضواء الفكر

◆ جائزة الرئيس بورقيبة :

انتظم فى السابع من شهر نوفمبر فى القصر الجمهورى بقرطاج حفل أسند فيه فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة جائزة لعلمين قدما خدمات جليلة بتآليفهما وهما الشيخ العلامة **محمد الطاهر ابن عاشور** والاستاذ المؤرخ **حسن حسنى عبد الوهاب** الذى حال المرض بينه وبين حضور الحفل والذى وافاه الأجل المحتوم بعد يومين فقط أى صبيحة التاسع من نوفمبر 1968 ٠

وقد ألقى الاستاذ الشاذلى القليبى فى حفل توزيع الجائزة كلمة بليغة نوردها بحذافيرها :



« فخامة الرئيس ،

يقول شوقى : « انما الامم الاخلاق ما بقيت ... » هذه الحكمة التى جعلتموها مبدا من مبادىء الاصلاح الذى شرعتم فيه منذ بعث الحركة الوطنية فى قصر هلال ، سنة 1934 ، يمكن ايضا أن نعبر عنها بقولنا « انما الامم الثقافة ما بقيت فى ازدهار ونمو ، وهو الشعار الذى التزمتموه فى بناء الدولة وبعث هذه الامة بعد احقاب متوالية من الانحطاط والتفسخ والانغماس فى الجهالة ٠

ذلك ان شؤون المجتمع فى نظركم لا تستقيم الا اذا كانت معتمدة على الاخلاق الحسنة والفكر النير معا ، لذلك ركزتم النهضة التى انتم بصدد نشرها فى البلاد على محورين اساسيين لا انفصام بينهما وهما النمو الاقتصادى والرقى الحضارى الذى من ضمنه تطور الثقافة وازدهار القيم الروحية والفكرية وعلو منزلة الانسان الذهنية والاجتماعية ٠

وانما اعتبارا لهذا الشمول الذى تتصف به حركة النهضة فى تونس . نعتز بانها تستوحى اهدافها وطرائق عملها من فلسفة روحية تجعل الانسان فى اعلى مراتب الوجود بوصفه خليفة الله فى ارضه قد تحمل الامانة العظمى ، وهى الاضطلاع بمسؤولية العقل والاهتداء بنور الضمير .

وحدة فكرية وروحية :

لذلك نعبر ، نحن الجيل الذى كان له شرف المساهمة فى الكفاح او فى بناء الدولة ان الرئيس بورقيبة ليس فقط زعيما سياسيا من اكبر زعماء العصر ، بل انه لقائد ثورتنا الفكرية ايضا واحد رواد الفكر الحديث .

وأن اعمالكم واقوالكم لتؤلف وحدة فكرية وروحية مترابطة العناصر متماسكة الاركان حتى انه ــ رغم ما اكدتموه فى غير ما مرة من ابتعادكم عن المذاهب الفلسفية ــ لامناص من الاقرار بان هذه الافعال والآراء تنبثق منها فلسفة اصيلة تشمل الفكر والسلوك معا ، سنة اعاظم المفكرين الذين لا يفصلون بين الفعل والرأى فى حياتهم ابدا .

ذلك انه اجتمع لديكم الجوهران اللذان بهما يكون الفكر الحق والعمل الخلاق وهما حرية الرأى او ما كان يعبر عنه السلف الصالح بالاجتهاد ، ثم غزارة الايمان الذى هو منبع الحماس والاندفاع والتضحية .

مرد كل المعانى :

الى هذين المحورين مرد كل المعانى وكل المواقف التى عرفت بها البورقيبية ، باعتبارها طريقة كفاح ومذهبا اجتماعيا ونظرة عامة الى الانسان والحياة ، اى بعبارة جامعة ، باعتبارها جهادا بالفكر والعمل معا من اجل بعث انسان افضل تستقيم حياته بنور العقل وتزكو آراؤه بصلاح الفعال .

وانما صدورا عن هذين المنبعين الروحيين ظهرت البورقيبية فى مظهر الحركة الدائبة الى التجديد دون توقف ولا جمود هدفها انتشال الانسان من الحضيض وتعزيز كرامته اكثر فاكثر وجعل حياته اعتدالا بين مختلف القوى والنزعات دون اى شطط .

واذ يعتز اهل الثقافة بهذه الرعاية السامية التى يوليهم اياها رئيس الدولة وقائد الامة ومنقذها من الاستعمار والتبعية فان اعتزازهم يتعاظم شعورا بان رجلا منهم واليهم يتولى قيادة السفينة ويجهد فى عزم وثبات ان يخرج المدينة الفاضلة من احلام الفلاسفة الى حيز الواقع فى هذه الرقعة من الارض .

أهميـــة الثقــــافــة :

لذلك لا جرم ان توجهت العناية الرئاسية باهل الادب والفكـر والفنـون بهذه الجائزة الشرفية التي تفضلتم بتبنيها تأكيدا لاهميـة الثقـافة في هذا النظام ولمنزلة رجالها العاملين في مشاغل الدولة وحزب الامة ·

وقد اردتموها جائزة تقديرية تتوئون بنفسكم اسنادها الى احـد رجـالات الثقافة التونسية تقديرا لمجموع تآليفه في ميـدان من الميـادين الاسـاسية بالنسبة الى نهضتنا وهي :

- الآداب واللغـة ·
- والتـاريـخ ·
- والفلسفـة والدراسـات الاجتمـاعية والـدينية ·
- والعلـوم ·

ولكنكم في هذه المرة الاولى أبيتم الا ان تسندوها الى علمين كبيرين كلاهما كرس حياته لخدمة الثقافة العربية في الميدان الذي تمحض له وكلاهما ساهم في توطيد اركانها وتوسيع آفاق البحث في وجه ابنائها وكلاهما من رجـال العلم والتعليم ، افادا عن طريق التاليف والتدريس مما جعلهما من اساطين شيوخ الثقافة في تونس وخارجها ·

اشرت بذلك الى الشيـخ الاستاذ الطاهر ابن عاشور والى المؤرخ الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب الذي اقعده المرض عن شرف حضور هذا الحفل بنفسه ·

الثقـــافـــة التقليديـــة :

ومما يجدر ان نصرف اليه النظر في اختياركم لهذين العالمين الجليلين ان احدهما يمثل الثقافة التقليدية في انقى مظاهرها وامتـن اصـولها واشمـل مغازيها ، تلك الثقافة التي نعتز جميعا بالانتساب اليها والنهـل من مناهلها الصافية لنقدر على فهم تراثنا ونقوى على البر بماضينا وتحمل الرسالة الملقاة على عواتقنا في استئناف سير الحضارة الذي تجمد عندنا فترات طـويلة من الزمن حتى اصبحت امجادنا نسبا بلا حسب ·

ومن الانصاف ان نؤكد هنا ان الشيخ ابن عـاشور يعتبر من بين انـداده وزملائه من خريجي الزيتونة « نسيج وحده » اذ لم يكـن من المقلـدين لا في دراساته الادبية ولا في بحوثه الدينية على وجه الخصوص ، بل اشتهر بسعة

العلم مع اعمال الراى وبالاحاطة بمذاهب السنة مع ميل واضح الى الاجتهاد • وقد كان له فى مدة قيامه بالتدريس بالمدرسة الصادقية تأثير يذكره لحد اليوم تلاميذه فى وضع المسائل على نمط طريف تظهر فيه سعة الالمام مع حيوية الفكر الثاقب •

واليه يرجع الفضل الاكبر فى اصلاح التعليم الزيتونى فى عصر كانت الزيتونة فيه تعتبر معقلا من معاقل الذاتية التونسية وذودها عن الدين وحفاظها على اللغة القومية وابقاء الصلة المتينة بالتراث العربى الاسلامى •

تقريب الشقة بين الثقافات :

وقد كانت للشيخ ابن عاشور ولجمهرة من كبار أئمة العصر الايادى البيضاء فى تلقين الثقافة العربية لتلاميذ المدرسة الصادقية وتقريب الشقة بين الثقافة الجديدة والقديمة وربط الصلة بين الاجيال المتخرجة من جامع الزيتونة والاجيال التى تلقت تكوينها فى المدرسة الصادقية ، التى اليها ينتسب الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب والمؤرخ التونسى ذائع الصيت فى المحافل العلمية بتونس وبمختلف الامصار العربية والافرنجية ، كتب باللغتين • وهو فى عصرنا اول مؤرخ تونسى توخى فى ابحاثه الطرائق العلمية الجديدة فخطا بالدراسات التاريخية فى بلادنا اشواطا وجعلها من الدقة والامانة والنفاذ الى جواهر الامور بحيث اصبحت تعتمد فى كافة الدوائر العالمية •

وقد تسنى له ذلك ، بفضل البحث المنظم والتنقيب المتواصل وبفضل ما توفق اليه فى طليعة المؤرخين العرب من ربط بين المعطيات الوثائقية والمعطيات الاثرية • وهى من الطرائق الحديثة التى مكنت المؤرخين من سبر اعماق الماضى بما يشبه الدقة العلمية •

وللاستاذ المؤرخ تأثير غير قليل فى توجيه عدد من الباحثين الناشئين سواء بكتبه وابحاثه او بتوجيهاته المباشرة التى لا يبخل بها حتى فى اوقات مرضه اذ هو معروف ليومنا هذا باكرام الوافدين على منزله وتمكينهم من ضالتهم بمدهم بالمعلومات أو اطلاعهم على نفائس المخطوطات ونادر التحف والاعلاق •

لذلك كان جمعكم بين هاتين الشخصيتين فى هذا الحفل الافتتاحى للجائزة التقديرية التى تحمل اسم فخامتكم ، محل ارتياح عامة المثقفين ممن تتلمذوا لهما او عرفوهما بالرفقة والمخالطة او استفادوا من مؤلفاتهما القيمة •

لا تناقض بين الحفاظ والتجديد :

ذلك ان ما تتفضلون به اليوم من تكريم لهما انما يتجه الى هذه الاجيال التى تعاقبت على الزيتونة والصادقية وكان قبل تحملها المسؤوليات سواء فى الحياة العمومية أو فى الكفاح القومى ، وان فى التفاتتكم هذه لاشارة الى ايمان الامة ، دولة وشعبا وحزبا ، بان الحفاظ والتجديد ليس بينهما تناقض جوهرى اذا ما قدرت الاطارات العليا على تجاوز القشور وصهر المتناقضات فى لحمة حية بل ان بينهما عندئذ لتكاملا وتضامنا فى لب الامور التى تخص حياة الامم ومصير الحضارات •

فالمحافظة والتجديد صنوان متلازمان فى حياة البشر لا غنى عن احدهما وان ما بينهما من نزاع انما هو بمثابة الثرى الطيب الذى بفضله تينع القطوف ما دام الحوار متواصلا بينهما وما كان الحفاظ وفاء لتقاليد حية ومحبة لروح وقادة وضربا من الاجتهاد وما كان التجديد معتمدا على الروية متاصل الجذور متين الفروع •

وانما بسبب انفصام هذه اللحمة الطيبة بين قوى الحفاظ وقوى التجديد ظهرت عصور الركود والجمود التى كثيرا ما تعقبها طفرات انقلابية وثورات هوجاء ، وعصور الجمود هى التى حكمت على حضارتنا العربية الاسلامية بالتحجر والانحطاط والتدهور بينما فترات الانقلاب قليلا ما كان لها عندنا اثر ايجابى ذو بال • فعاش مجتمعنا تاريخا متقطع الاوصال مليئا بالجلبة والضوضاء وليس من وراء ذلك ما يبقى ويفيد الناس الا فى القليل النادر •

فكانت ثقافتنا العربية الاسلامية ، بعد اشراقتها الاولى التى ملأت الدنيا ضياء وأملا ، تتردى هى ايضا بين الجمود وومضات الاجتهاد دون ما تكامل ولا تناسق ولا انسجام ، فكانت بدورها متقطعة الاوصال ممزقة اللحام •

تجديد معانى المسؤولية الانسانية :

فمن واجبات جيلنا الحاضر العمل على رتق هذه الفتوق بين اشلاء الماضى بالدرس والتمحيص لايجاد وحدة عضوية حية بين مختلف اوصال الزمان وتجديد معانى المسؤولية الانسانية فى خلق التاريخ وصنع المصير فى ايمان وعزم ولكن دون صلف ولا زهو ، حتى تضطلع الاجيال جيلا بعد جيل ، على غرار ما تم فى هذه الفترة الفريدة من تاريخ تونس فتكون بذلك قادرة على اقتحام سبل المستقبل وغزو آفاقه المغلقة •

وانها لمسؤولية كنا اضطلعنا بها فى الماضى وانتقل مشعلها من ايدينا الى غيرنا بدون رجعة ليومنا هذا • وانما افلت من ايدينا مشعل التقدم لاننا فقدنا تلك النظرة الى انفسنا والى شؤوننا الفكرية والروحية والاجتماعية التى تتصف بالشمول والتى هى نتيجة معرفة وتجربة واحساس ، منصهرة كلها فى عملية ادراك واحدة ، كتلك التى حدث بالزعيم الحبيب بورقيبة اذ تصدى للنضال لا من اجل تحرير رقعة من الارض اسمها تونس ولا جملة من الناس يسكنون على هذه الرقعة ، بل من اجل تحرير وطن وبناء امة واحياء ثقافة وتوجيه مصير •

ولئن كان التونسيون فى الاعوام الثلاثين لا يؤلفون أمة بالمعنى الصحيح فان فكرة الامة كانت حاضرة فى ذهن الزعيم الشاب نتيجة انصهار ما تعلمه وما استنبطه وما يجيش بصدره •

وبقدر ما كان الماضى منضدا منظما فى ذهن الزعيم بقدر ما كانت صـورة المستقبل تتراءى له فى غير التباس ولا شك •

ذلك ان الاعمال الانسانية الجليلة لم تظهر قط عبر التاريخ الا على أسـاس فكرة شاملة « مصعدة » هى عصارة تاريخ وجمـاع تقـاليد ، وهى فى الوقت نفسه مغامرة متجهة الى التجديد والخلق • وهو ما اشرتم اليه فى غير ما خطبة من خطبكم وبالوضوح الذى يمتاز به اسلوبكم اذ قلتـم ان الثورات الانسانية الكبيرة انما هى نظرة جديدة الى واقع قديم •

معطيـــات الثقـــافـــة :

لذلك نعتقد ان النهضة الثقافية التى تعتمل الآن فى كافة المستويات قوامها ثالوث من الاعمال ينبغى ان تكون متكاتفة متضافرة وهى معرفة شاملة للتراث وتحليل ناصع للواقع وغزو فاتح لآفاق المستقبل •

ونجاح هذه الاعمال متوقف على توفر المـوقف الـذهنى المناسب لكل منها الكفيل بالابقاء على جذوة الطلب فيها •

اما معرفة التراث فتستلزم فكرا متحررا من ربقة التقليد الذى يعرض عن التمييز ولا يتكلف مشقة التمحيص •

واما الالمام بالواقع فيقتضى منا سيطرة على شؤون العصر فى مختلف ميادين الاجتماع والاقتصاد والصناعات والعلوم والفنون حتى لا تبقى ثقافتنا موصوفة بالقصور ولو فى واحد من هذه الميادين •

واما فتح الآفاق فلا بد أن ينبع من توق جامع الى النضال من اجل تصورات وقيم تخص الانسان وموقفه من الوجود ورغائبه المتصلة بما وراء الموجود ٠

اذا استطاع هذا الجيل ان يؤصل فى نفسه هذه المواقف فانه يضمن للامة اللحاق فى اجال غير بعيدة بركب الحضارة الانسانية ويمكن ثقافتنا من ان تصبح مشاركة فى عملية الانتاج والاكتشاف والاختراع وهو الشرط الاسمى لكرامة الامة وعزتها الحقيقية ٠

ذلك اننا فى عصر لم تعد فيه قوة الامم تقاس بقيمة الثروات المادية التى تملكها ، بل بما لها من طاقات ذهنية وعلمية وفنية ، قادرة على التحويل والاستنباط والابتداع ٠

وقد قلتم فى خطابكم الاخير بمدينة توزر ان تونس لئن كانت تعوزها الثروات المنجمية الطائلة فان لها ان تعتد باطاراتها لما يمتازون به من استعداد فطرى لمواجهة الصعاب واقتدار على السيطرة على المشاكل بفضل صفاء القريحة ومتانة الوحدة القومية ٠

تلك هى الدعامة الاصلية لاستقلال الشعوب وبها ترتقى الى مصاف الامم الراشدة التى بيدها مصيرها ومصير الانسانية قاطبة » ٠

وبعد أن تلى الأمر الرئاسى القاضى باسناد الجائزة التقديرية الى العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذى وسمه فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة القى بين يديه كلمة هذا نصها :



الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

الحمد لله الذى هيا لمن شاء من عباده حسن العواقب وحباهم من فضله بأسنى المواهب والصلاة والسلام على من سمت بشرف مقامه المراتب ، وتظافرت على نصره الكتب والكتائب وعلى آله وصحبه نجوم الهدى الثواقب ، وسيوف الحق القاطعة المضارب ٠

اما بعد فان مزية العلم وشرف الانتساب اليه امر بلغ من اليقين والضرورة مبلغا يقصر عنه البيان وينقص قدره محاولة اقامة البرهان بعد ان توجه الله

تعالى الى نبيئه الكريم وهو الذى علمه ما لم يكن يعلم وزكاه بانه على خلق عظيم وعلى صراط مستقيم فقال : « وقل ربى زدنى علما » فولا جعل طلب العلم والحرص عليه والاستزادة منه اعظم مطلوب لاشرف موجود وبذلك كان العلم تاج نبوءته وشعار ملته وانى احمد الله على ان اودع فى محبة العلم والتوق الى تحصيله وتحريره والانس بدراسته ومطالعته سجية فطرت عليها فخالطت شغاف قلبى ، وملأت مهجتى ولبى وغرزت فى غريزة نمتها التربية القويمة التى اخذنى بها مشائخى طيب الله ثراهم وطهر ذكراهم ممن جمع ابوة النسب وابوة الروح او من اختص بالابوة الروحية وحدها ، حتى اصبحت لا اتعلق بشىء من المناصب والمراتب تعلقى بطلب العلم ، ولا انس برفقة ولا حديث انسى بمسامرة الاساتيذ والاخوان فى دقائق العلم ورقائق الادب ، ولاحبب الى شىء ما حببت الى الخلوة الى الكتاب والقرطاس متنكبا كل ما يجرى حولى من المشاغل ، فلا تكاليف الحياة الخاصة ، ولا اعباء الامانات العامة التى حملتها فاحتملتها فى القضاء وادارة التعليم ، حالت بينى وبين انسى فى دروس تضىء منها بروق البحث الذكى والفهم الصائب بينى وبين ابنائى من الطلبة الذين ما كانوا لى الا قرة عين وعدة فخر ومنهم اليوم علماء بارزون او فى مطالعات وتحارير اخلص فيها نجيا الى الماضين من العلماء والادباء الذين خلفوا لنا فى آثارهم الجليلة ميادين فسيحة ركضنا فيها بالافهام والاقلام ومرامى بعيدة سددنا اليها صائب السهام ، فالحمد لله الذى بوانا بين الماضين من اسلافنا والآتين من اخلافنا منزلة من تلقى الامانة فأداها ، وأوتى النعمة فشكرها ووفاها ، وها انتم اليوم يا صاحب الفخامة تنظرون الى هذه الحياة التى أساسها حب الدراسة وذروتها نتاج بارك الله فيه بفضله من كتب فى فنون العلم والادب فتقدرونها بعظيم همتكم قدرا اهلها فى نظركم لان تكون محل تشريف وتكريم تسندون الى الجائزة التقديرية اول انشائها ، وتضعوننى فى راس القائمة التى سيتتابع عليها الفائزون بتقدير علمى سام ، يبقى لكم انشاؤه فخرا تالدا على مر الزمان .

فاذا كان الخليفة المأمون العباسى قد توجه الى أبى عثمان الجاحظ منوها بمنزلته وشاهدا لكتبه باحكام الصنعة وكثرة الفائدة وذلك الذى قدر به المأمون قدر الجاحظ ووفى حقه وعرف به الناس للمأمون انه كان ارفع مقاما واعظم سلطانا لمعرفته الفضل لذويه ، فان تقرير فخامتكم للجائزة التقديرية سيكون صلة بين شخصكم الكريم وبين الاجيال المتعاقبة على التهمم بالعلم والانتاج فيه وسيجعل لكم فى العناية بالعلم واهله منزلة تقصر دونها منازل الذين سبقوا الى تكريم العلماء والتنويه بشأنهم واجزال الجوائز لهم ، اذ لم يتناول فضلهم الا رجالا معينين فى ازمان محدودة ٠

فطوبى لهذه الهمة الوثابة التى تتخطى رقاب القرون وشكرا فائقا للسيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية على ما عدد من المزايا واثبت من السجايا عن حسن ظن منه وعظيم اعتناء منكم يا صاحب الفخامة ٠

اما انا فاعتبر هذا التقدير عائدا الى صفة حب العلم ينوه بها ويدفع اليها ثم عائدا على ذوى الاثار الباقية من اهل القرون الخالية حتى شيوخنا الاقربين واصحابنا الادنين الذين يحق للوفاء بما لهم علينا ان نتمثل بقول أبى العلاء فى شيخه القاضى عبد الوهاب :

وما انا الا قطرة من سحابه ولو اننى صنفت ألف كتاب

ثم تلى الأمر الرئاسى المتضمن لاسناد الجائزة التقديرية للأستاذ المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب فتولى الدكتور الصادق المقدم نيابة عنه تسلم الوسام وتلا كلمة المؤرخ التى نوردها كاملة :

« رب انعمت فزد »

في هذا اليوم السعيد كنت اتمنى ان اعرب لفخامة رئيسنا المحبوب عن اجلالنا الدائم لذاته ، وعن اواصر محبتنا القلبية لشخصه وأبى الزمان الا ان يبلوني - منذ سنة - بداء عضال - ضيق التنفس - منعني من اداء الشكر بلساني ، لكن ان عجز لساني عن القيام بهذا الواجب فان قلمي ليس بعاجز عن الدعاء - .



المؤرخ ح. ح. عبد الوهاب

يا فخامة الرئيس ،

لقد شئتم ان تكرموا شخصا ضعيفا كرس حياته في ذكر فضائل وطنه بين أمم هذا البحر المتوسط واجتهد في ابراز مزاياه في الغابر والحاضر ، وقد وجد في هذا العمل غذاء روحيا يفوق اللذات البشرية فانعزل عن المقاهي ومحلات الملاهي :

ومن وعى اخبار من قد مضى   اضاف اعمارا الى عمره

سيدي الرئيس ،

في بداية الاستقلال تفضلتم بتشريفي لرعاية الاثار الوطنية وكان جانب عظيم منها لم يعره المحتل عناية ما :

متحكم يبغي الحياة باسرها   ويخال انا في يديه نبال

جهل الحياة لكل شعب حقه   ورضا الشعوب بان تموت محال

فاجتهدت من يومئذ في تشخيص محاسن هذا الجانب المهمل ، واظهار رموزه وخفاياه ، وبذلت ما كنت جمعته بنفسي لبني جنسي ، وحرصت على تجهيز خمسة متاحف : اربعة منها للاعلاق الاسلامية ، وواحد للآثار الكلاسيكية ، واني ارجو الله ان يستفيد منها النشء الجديد الذي نبه فخامتكم اذهانهم ، ولقح افكارهم للمعرفة والتوعية ونكران الذات حتى يدركوا التقدم والرقي الانساني .

واني اسأل الله الكريم ان يجعل هذه المؤسسات خالصة لتفانينا فى حب هذه الرقعة الصغيرة من الارض ، الكبيرة بماضيها وحاضرها ، الغنية بقيمها الروحية العالية •

سيدى الرئيس ،

اود أن أقول كلمة عن مكتبتى الخطية ، وقد سعيت طول حياتى فى تكوينها ، واخشى ان تتلاشى بعدى ادراج الرياح ، وقد شملت مفرداتها الكثير من اخبار الاندلس والمغرب الكبير ويسعدنى ان اجعلها مؤسسة خصوصية (Fondation) تلحق بـ « دار الكتب » التونسية بسوق العطارين ، يشرف على نظامها وسيرها نخبة من ابنائى الروحيين :

الدكتور الصادق المقدم ، والشاذلى القليبى ، ومحمد مزالى ، وفضيلة مفتى الديار ، والامين الشابى وغيرهم من اهل الحفاظ والذوق •

ويبقى بعد ذلك تاليفى الكبير المعنون (بكتاب العمر) ، كتاب افنيت فيه عمرى ، واستنفدت صبرى ، اذ قضيت فى جمعه وتدوينه زهاء الستين عاما على الولاء ، وهو يخرج فى عدة اجزاء ، وينطوى على التعريف المفصل باكثر من ألف مؤلف تونسى فى سائر العلوم والفنون •

وحيث تقدمت بى السن رجوت لهذا العمل المضنى من يقوم بانجازه ، فتكفل الابن الاديب ، والمفكر المصيب : العروسى المطوى بجمع ما انهيت من تراجم العلماء ، واتمام ما بقى جاهزا بلا انسجام فى تصنيف ينتفع به الباحثون عن مآثر بلادنا ، ان شاء الله تعالى •

اما بقية تآليفى ـ وقد بلغت الآن الثلاثين ـ فقد تكرر الطبع للبعض منها ، وتعهد جمع من الافاضل الاعزاء باعادة ما يستحق الاعادة وفى مقدمة المشجعين لى معالى كاتب الدولة للثقافة جازاه الله خيرا •

والى الله ابرا من العجب بالنفس ، والغرور بالعمل ، وما توفيقى الا بالله •

* * *

وبعد هذا كله ، لم يبق لى ما اتمناه الا ان اضرع للبارى ـ جل جلاله ، ان

يديم حياة رئيسنا الذى جادت به الايام على بخلها (ان الزمان بمثله لبخيل) فقد اعاد لوطننا ماضيه الناضر الباهر حتى عرف فضله الغـائب والحـاضر ، وبنى حفظه الله بيده صرحه الشامخ لبنـة لبنـة حتى تكامل استقلاله والتـأم هيكله البديع :

حلف الزمـان ليـأتين بمثلـه — حنثت يمينك يا زمـان فكفـر

وفق الله هذا البلد الامين الى بلوغ الغايات المأمولة من العزة والمنعة والمجد ، وجعله في يومه وفي غده كما كان في امسه ، منارا من منارات الحضارة العربية ، وقاعدة ثابتة لعز الاسلام ٠

سيدى الرئيس ،

قلت فى طالع كلمتي : ان فاتنى تسجيل الثناء عليك بلســانى ، ولســان نعمتك التي قلدتنى بالشكر ابلغ من لسان بيانى فها أنا ذا أجدد لك صادق الشكر وأخلصه على صفحات التاريخ الكبير ، تاريخ الشرف والفخر ، فخر تونس العزيزة ، وشرفها الخالد » ٠

◆ وفاة المؤرخ الكبير حسن حسنى عبد الوهاب :

لم يمض يومان على تكريم مؤرخنا ح.ح. عبد الوهاب(*) وتقدير الدولة لجملة ما أنتجه طيلة حياته حتى وافاه الأجل المحتوم صبيحة التاسع من نوفمبر 1968 عن أربع وثمانين سنة قضاها كلها فى البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بوطنه سواء فى التاريخ أو الادب ٠ ورغم دأبه المتواصل فى التأليف فانه لم يقدر على إتمام مؤلفه الكبير « كتاب العمر » وها هو يخط بنفسه ترجمته :

« الاسم : حسن حسنى عبد الوهـاب ــ وهو اللقب العـائلى ــ نسبـة الى جدى عبد الوهـاب بن يـوسف الصمـادحى التجيبى الذى كان يدير الحرس الاهلى للبلاد وهم الحوانب) ويرأس التشريفات فى مدة البايات الحسينيين من عهـد البـاى محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن على الى ايـام المشير احمد باى الاول ٠

وتقلب بعده ابنه والدى (صـالح بن عبد الوهـاب)فى عـدة وظـائف ، وكان فى عصره من الافراد التونسيين القلائل ، اذ انه تعلم العربية بجامـع

(*) راجع ترجمة له بمجلة الفكر ــ العدد 2 ــ نوفمبر 1968 ــ ص 5 ٠

الزيتونة ودرس بعد ذلك اللغة الفرنسية بمكتب الرهبان (Ecole des Frères) الواقع بنهج الزيتونة (نهج الكنيسة سابقا) حتى اتقنها جيدا ، فاضافــه (الفريق حسين) وزير الخارجية اليه ، وصار الوالد يصاحبه كمترجم فى السفارات المتنقلة التى كانت ترسلها الدولة التونسية الى اروبا كلما حصل خلاف مع الممالك الافرنجية (ايطاليا قبل الوحدة ، وفرنسا وانكلترا وغيرها) فى عصر كانت رحلة التونسيين الى تلك البلاد قليلة جدا ـ من 1869 الى 1880 م ـ وكان الوالد المرحوم مولعا بفن التاريخ (والعرق دساس كما فى الحديث النبوى) وله تاليف فى اخبار مملكة المغرب الاقصى لم يطبع بعد .

وتقلب الوالد بعد الحماية فى جملة وظائف منها عمل الاعراض (قـابس) والمهدية وتوفى آخر سنة 1904 م .

اما ابنـه حسن حسنى فانه ولد آخـر شعبـان 1301 (21 يونيـة 1884) بنهج عبد الوهاب رقم 25 ، ووالدته (حنيفة بنت علي بن مصطفى آغة قيصرلى) كان أبوها اكبر اعوان (معين اول) للوزير خير الدين باشا .

واول دراستى فى كتاب بنهج سيـدى الموحـد ـ بين نهج الـوادى ونهج بوخريص حسب العادة المتبعة حينئذ لصغار التونسيين ثم تحولت الى المدرسة الابتدائية بالمهدية وتلقيت هناك حفظ الربع الاخير من القرآن الكريم ، كما ابتدأت تعلم اللغة الفرنسية ..

ولما انتقل الـوالد من المهـدية الى تـونس دخلت اول مكتب فرنسى لائكى بالحاضرة (نهج السويد) ونلت شهادة العلم الابتدائيـة 1899 فالتحقـت (بالمدرسة الصادقية) وزاولت بها العربية والتـرجمة ثم قصـدت بـاريس وانتظمت فى سلك تلاميذ (مدرسة العلوم السياسية) وتابعت التعلم بها . ومن اساتذتى بها (ده منتاى ـ De Monteil) وفى الاثناء كنت احضر محاضرات الحكيم (شاركو ـ Charcot) فى تحليل الاخلاق والنحائـز والطبائــع .

وتوفى الـوالد آخر سنـة 1904 فعـدت الى البيت فى حضيـرة تـونس ، وانخرطت بعد فى سلك موظفى (ادارة الفلاحة والتجارة) فى قسم « املاك الدولة » آخر سنة 1905 ـ وبعد خمس سنين عينت رئيسا لادارة (غـابة الزياتين للشمال التونسى) سنة 1910 .

وفى اثناء الحرب الكبـرى الاولى التحقت بادارة المصـالح الاقتصـادية .. (Services Economiques) فى سنة 1916 بصفة رئيس قسم ، وفارقتها لرئاسة

(خزنة المحفوظات التونسية Archives générales) فى سنة 1920 ، وقد استفدت كثيرا من هذا العمل حيث اتيح لى الاطلاع على مجرى احداث التاريخ التونسى منذ الفتح التركى وبعده ـ ولا يخفى ان خزنة المكاتيب الدولية ـ كما كانت تسمى ـ هى من محاسن مؤسسات الوزير خير الدين حين مباشرته لشؤون الدولة التونسية أهم عمل قمت به هناك هو انى وضعت لها جهازا تاما لفهرست محتوياتها فى جذاذات محفوظة فى صندوق خاص (Fichiers) وهو المعمول به الى الآن ، ولم يكن ذلك موجودا بها •

وفى سنة 1925 عينت عاملا (واليا) على المثاليث ، ومقر الادارة « بجبنيانة » وكانت تلك الناحية تابعة لولاية صفاقس ، ولم يعتن بمصالحها منذ احقاب توالت عليها ، فسعيت جهدى فى اقرار اهاليها بالارض لتعميرها وبايجاد عدة مكاتب ابتدائية واحداث طرقات معبدة ، وتزويد القرى بالماء الصالح للشراب وتنوير مركز العمل ليلا •

وفى آخر سنة 1928 نقلت واليا الى المهدية الفاطمية فاجتهدت فى نشر التعليم فى القرى والمداشر وكنت القى فى كل اسبوع محاضرات فى التاريخ الاسلامى وبخاصة فى أحداث تلك الجهة فى محل ناديها ونادى الشبيبة ، واوقفت كتبا كثيرة على مكتبات المدينة الفاطمية •

وفى سنة 1935 سميت واليا (عاملا) على الوطن القبلى (نابل وناحيتها) فاهتممت بمصالح العمومية بقدر الجهد ، واوقفت كذلك من الكتب العربية كثيرا على مركز الولاية وعلى القرى الكبيرة والصغيرة •

وفى سنة 1939 عدت للحضرة التونسية بصفة وكيل (للادارة المحلية والجهوية) يعنى شؤون الادارة الداخلية للبلاد ، وفى اثناء مباشرتى لهذا المنصب « أحلت على التقاعد لبلوغى السن القانونية ـ بعد أربع وثلاثين عاما من العمل المنهك ـ لكن الادارة المركزية أبت إلا ان تعيننى رئيسا لمصلحة الاوقاف) فاجتهدت فى الذب عن مصالحها ومنع ايدى الطمع من الامتداد الى املاك الاوقاف واراضيها الخصبـــة •

وبمجرد انتهاء الحرب الكبرى الثانية من البلاد التونسية انتخبت وزيرا (للقلم) وهو وظيف يشمل الاشراف على ادارة الشؤون الداخلية للبلاد ، والقيام بتحرير المهم من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج وذلك فى 3 ماى سنة 1943 ، فشغلت هذا المنصب مع آخر البايات الحسينيين : محمد الاميـــــن •

وتخليت عن هذا المنصب نهائيا في شهر يولية سنة 1947 ، ومن ذلك الحين انقطعت عن الاشغال الادارية واقبلت على العمل فى تأليفى الكبير « كتاب العمر » وكذلك السفر الى الاقطار الشرقية والغربية ٠

ولما نالت البلاد التونسية الاستقلال وفارق الموظفون الفرنسيون المصالح الادارية دعيت من جانب الحكومة التونسية الجديدة لرئاسة ماسمى (بالمعهد القومى للآثار والفنون) ٠

وفى سنة 1957 باشرت هذه المهمة الى عام 1962 ، فاقبلت على العمل بها بجد نادر مدة خمس سنوات متوالية ، وقد هيأت بعض الشباب للمعاضدة حيث لم يبق من الموظفين الفرنسيين السابقين احد ، ويسر الله فى تلك الفينة ان نقلت مصلحة الاثار من محلها القديم (ساباط سوق الفكة الى دار حسين) الفريق التى كانت مقرا لقائد الجيش الفرنسى ولاركان حربه بساحة القصر وبعد ترميم الدار كما يجب ، اتخذت بقسمها الا على مكاتب الادارة وبقسمها الاسفل متحفا للفنون الاسلامية ٠ ولم يكن لهذه الفنون ادنى حظ بين الاثار التونسيـة ٠

ومن منن الله ان أسست فى مدة رئاستى للآثار خمسة متاحف منها اربعة للاعلاق الاسلامية (متحف على بورقيبة) فى رباط المنستير ومتحف اسد ابن الفرات برباط سوسة ـ ومتحف ابراهيم بن الاغلب فى القيروان ـ ومتحف دار حسين الاسلامى المتقدم الذكر ـ ثم مستودع للاثار الكلاسيكية (Antiquarium) بقرطاجنة فى نفس بيت احد اعيان الرومان

وقد زودت المتاحف العربية السالفة الذكر بكل ما جمعته لخاصة نفسى منذ الصغر من الاعلاق النفيسة والتحف الاسلامية النادرة سواء أكانت مقتناة من تونس أم مشتراة من المشرق ومن عواصم أروبا ٠

وفى تلك المدة نشرت فى مختلف الجرائد والمجلات فصولا كثيرة وحرضت الباحثين عن الاثار لاخراج ما كتبوه بالعربية والفرنسية ، كما قدمت لمصنفاتهم ببعض تمهيدات تاريخية وفلسفية وبمقدمات مناسبة ، وهى نحو العشرة مؤلفات فى شتى الاغراض الاثرية ٠

اما الحياة العمليـة :

فقد تم لى المشاركة فى غالب « مؤتمرات المستشرقين » ابتداء من عام 1905 بعاصمة الجزائر وقدمت فيه بحثا عن « الاستيلاء العربى لصقلية »

وتعرفت هناك بثلة من العلماء المشاركين عربا كانوا او افرنجا ، فهم (محمد فريد بك) رئيس الحزب الوطنى المصرى اذ ذاك ، والشيخ (عبد العزيز شاويش) المشهور ، وهو تونسى الاصل ، وصارا من حينئذ من اكبر الاصدقاء و (جورج براون) الانكليزى ، وكذلك المستر (بيفن BIVAN) و (امرورز Amerdros) و (فولارس) و (نلدكى) الالمانى ، و (كوديرا) و (ربييرا Ribéra) وميقال آسين بالاثيوس وثلاثتهم من اسبانيا - و (لويس ماسينيوس) و (وليم مرسى) وصديقى المرحوم (محمد بن أبى الشنب) وغيرهم كثير جدا - وامتدت علاقتى بجميعهم بعد ذلك .

وفى سنة 1908 شاركت فى مؤتمر (كبنهاكن) عاصمة الدنمارك ، ومن وجوه العلماء الذين تعرفت بهم هناك : اولا : جلالة الملك (قستاف ادولف) والبارون (ماكس اوبنهائم) الالمانى وقولد زيهر (Goldziher) العالم النمساوى المشهور ، والاب (لامنس) والاب (لويس شيخو) اليسوعيين وقد قمت بمعارضتهما فيما قدما من البحث حيث وصفا النبىء العربى الكريم بما لا يليق وافتريا عليه ، والملاحظ انى كنت المسلم الوحيد فى حضور هذا المؤتمر ، ولذا تجاسرا بابداء الطعن على الاسلام جهارا ، وكان البحث الذى عزمت على تقديمه هناك باللغة الفرنسية : (مختلف العناصر التى يتكون منها الشعب التونسى) وقد طبع بعد ذلك بتونس سنة 1917 فعدلت عن القاء بحثى لمعارضتهما وكان لمعارضتى للراهبين المتقدمين رنة كبيرة بين المؤتمرين وتأييد من جانب عظيم منهم .

وفى عام 1922 شاركت فى مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنسيين ، ثم المؤتمر المنعقد برباط الفتح بالمغرب سنة 1927 ثم مؤتمر كمبريتج بانكلترا ، واسطنبول ومونيخ فى المانيا ، وفى جميعها كنت النائب عن الحكومة التونسية ودعيت لحضور الندوات العلمية التى دارت بالبندقية (فى معهد Comte Cini) وكذاملتقى فيورينسة (بايطاليا) للتقارب بين المدنيات والاديان برئاسة الامير الحسن المغربى الشرفى ، وغير ذلك مما يطول تعداده .

ونبت عن الحكومة التونسية فى (مؤتمر الموسيقى الشرقية) المنعقد بالقاهرة فى افريل سنة 1932 ، وقد كنت تعرفت قبل ذلك فى سنة 1914 بالامير أحمد فؤاد نجل الخديوى اسماعيل فى نابلى بايطاليا قبل ان يصير ملكا لمصر .

وفى نظرى ان الملك فؤاد كان - بلا نزاع - من اجل ملوك المسلمين ومن

اقواهم عزيمة وحبا لجمع كلمة العروبة والرغبة الصادقة فى الدفاع عـن الحضارة الاسلامية مع الذكاء الوقاد الذى خصه الله به ، والثقافة الواسعة ، ولا يخفى انه من حين استقرابوه اسماعيل باشا بلاد ايطاليا بعد التنازل عن الملك ، انخرط البرنس (احمد فؤاد) فى المدارس الحربية هناك ودرس بها الى ان نال بكد يمينه رتبة امير الاى (Colonel) فى الخيالة ، بلا محاباة ولا مراعاة لاصالته ، وكان يحسن اللغة الايطالية كاحد ابنائها ، وكذا اللسان الفرنسى مع نبرة ايطالية واضحة للسامع •

وقد سألنى - مرة تغمده الله برحمته - ونحن نتغدى على مـائدته بقصـر القبة بمحضر وزيره الاكبر (محمد محمود) عن حالة المغرب وتقسيماته ونظامه الادارى ، فاخذت فى الوصف بما يناسب المقام ، واشتغلت بالكلام عن الطعام فالتفت الى وقال : حملتك مشقة الكلام كثيرا فلم تأكل الا قليلا •

فأجبته بقولى :

- يا افندينا • موائد الملوك انما هى للشرف لا للعلف فانبسط منها كثيرا • وسألنى مرة أخرى : - كيف وجدت مصر ؟ فكان جوابى :

- يا افندينا • سئل أبو العباس المقرى المغربى مصنف كتاب - نفح الطيب - عما شاهده بمصر حين زارها فأجاب : (من لم يزر مصر لا يعرف عز الاسلام) وانا اقول بقوله ولا احيد عنه • ولا ننسى ان الملك فؤاد كانت له مواقــف حاسمة للحصول على الاستقلال بمصر وكذا فى الدفاع عن العروبة جملةوليس، هنا محل بسطها وشرحها ، رحمة الله عليه وجزاه الجزاء الاوفى ، وفى المثل المطروق : (النار تترك الرماد) •

وهو الذى عيننى عضوا دائما فى (مجمـع اللغـة العـربية) لاول تأسيسه آخر سنة 1932 ، وانا اليوم آخر من بقى من الاعضاء الاولين للمجمع ، وكـنا فى البداية عشرين عضوا لا غير ، عشرة من المصريين ، وخمسة من الشرقيين وخمسة من المستشرقين • وقد شاركت بقدر الاستطاعة فى الابحاثوالمناقشات الدائرة فى المجمع منذ التأسيس ، ولا سيما عندما اثيرت الدعوة لابدال الحروف العربية بغيرها •

اما اللغات التى احسنها فهى اولا وبالذات العربية لغـة اهـلى وقـومى ثم الفرنسية ، وقليلا من الايطالية ، وكذا من التركية •

اما عنايتى بالثقافة وبث وسائلها داخل البـلاد التـونسية ، فقد درست

التاريخ العام وخاصة التونسي في الخلدونية من سنة 1905 الى سنة 1924 بعد المرحوم البشير صفر ، وكذا في المدرسة العليا للغة والاداب العربية (بسوق العطارين) من سنة 1913 الى آخر 1924 ٠

ومنحتني جامعة العلوم بالقاهرة لقب الدكتوراه الفخرية في سنة 1950 كما منحت ذلك اللقب من (جامعة العلوم الجزائرية) ودعيت للحضور بنفسي سنة 1960 فلم اجب حيث كانت حرب التحرير قائمة على ساق حينئذ ٠

وسميت عضوا مشاركا في (المجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة) منذ سنة 1939 ، وكذا في المعهد المصري وعضوا مراسلا (للمعهد التاريخي الاسباني) منذ اربعين عاما وعضوا في كل من (المجمع العلمي العربي بدمشق) منذ تأسيسه ، وكذا في (المجمع العلمي العراقي) في بغداد ، وغير ذلك ٠

اما اسفاري :

فالى جميع القارة الاروبية بادخال البلاد الروسية حيث دعيت من مجمعها العلمي ، فزرت علاوة عن موسكو جمهورية الازبكستان (تاشقند وهي بلاد الشاش قديما وسمرقند حيث ضريح الصحابي الفاتح (قثم بن العباس بن عبد المطلب) ابن عم الرسول و (بخارى) حيث ضريح الامام محمد بن اسماعيل البخاري ٠

وفيما عدا ذلك تجولت في ممالك الشرق الادنى في سائر اقطار اروبا جنوبا وشمالا وشرقا وغربا ٠ كما طفت بجميع اقطار شمال افريقية من المحيط الاطلنطي الى قناة السويس ٠

وحججت ثلاث حجات ، اولها سنة 1935 ، وتعرفت مليا بالملك المرحوم عبد العزيز آل سعود وقد انابتني في المرة الثانية الدولة التونسية لتقديم رسالة من الباي أحمد الثاني مع أوسمة مرصعة بالحجارة الكريمة وهدايا اهلية معتبرة ، فقبلني بحفاوة زائدة واقمت ضيفا على السعودية واستفدت من محادثات الملك بكثير من اخباره وقيامه بالدعوة لاسرته وفتوحه وتوحيده للمملكة العربية الشمالية وكانت حجتي الاخيرة في خلال سنة 1950 (وأنا رئيس للاوقاف في تونس) ٠

وفي اثناء احدى تلك الحجج تعرفت بالمستعرب الانكليزي المسلماني (عبد الله فيلبي) ولا انسى انه كان افادني كثيرا عن جولته العلمية في الربع الخالي والاحقاف من الجزيرة العربية تلك الجولة التي قطع معظمها في سيارة وعلى الجمال ، وقد ادرج فيها كتابا مفيدا جدا ، هو عمدة الباحثين عن خفايا الجزيرة وجهاتها المجهولة ٠

واني لاعتذر كثيرا اذ انى اطلت فى ذكر حياتى وملابساتها ، وما هى باحسن من غيرها •

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم ويعلم الله كم يخجلنى ان اكون مثل بعض الاحباب وهو الان من الاموات كان يكتب على بطاقة زيارته اسماء كل الجمعيات التى كان مشتركا فيها ، ويرسم بآخر البطاقة (انظر محوله) لان وجه الورقة غير كاف لاحتواء جميع الجمعيات والمؤسسات التى هو عضو فيها ، ولو اردت احصاء احبابى فى الشرق والغرب للزمنى دفتر خاص ذو صفحات عديدة ، وفيما ذكرت كفاية ، بل ربما كان من التطويل الممل •

وما أنزه نفسى فان النفس امارة بالسوء ، واليه سبحانه اضرع ان يتغمدنى برحمة منه ، وان يستر عيوبى ما ظهر منها وما بطن ، بفضله تعالى وكرمه •

مؤلفات باللغة العربية :

(بساط العقيق ، فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق) طبع تونس 1912 (خلاصة تاريخ تونس) طبعة اولى : تونس 1918 ــ وثانية 1930 وثالثة بتونس سنة 1953 •

(المنتخب المدرسى من الادب التونسى) ط اول 1908 بتونس : وثانية فى المطبعة الاميرية المصرية سنة 1944

(الارشاد الى قواعد الاقتصاد) طبعة تونس 1919

(شهيرات التونسيات) ــ تونس ط اولى 1934 ــ وثانية بتونس 1966

(الامام المازرى (ترجمة حياته مع بحث عن تسلسل السند العلمى فى تونس منذ الفتح العربى) طبعة تونس 1955

(ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية جزء اول ط تونس1965

(ورقات عن الحضارة العربية التونسية جزء ثان) ط تونس 1966

نشريات محققة :

(رسائل الانتقاد مقامات فى النقد الادبى) لمحمد بن شرف القيروانى ، طبع دمشق 1912

(ملقى السبيل) (فى الوعظ والحكم) لابى العلاء المعرى

(اعمال الاعلام) (قسم تاريخ افريقية وصقلية) لابن الخطيب الاندلسى طبع بلرمو بصقلية 1910

(وصف افريقيا والاندلس) الآبن فضل الله العمرى طبع تونس سنة 1920

كتاب (يفعول) بحث لغوى للصاغانى ، طبع تونس سنة 1924

(التبصر بالتجارة) للجاحظ ـ ط اولى بدمشق 1933 ـ وثانية بمصر 1935 ـ وثالثة ببيروت 1966

(الجمانة فى ازالة الرطانة) (فى اللهجة الاندلسية والتونسية) لمجهول ، ط المعهد العلمى بمصر

(اداب المعلمين) هو ما دون محمد بن سحنون عن أبيه ـ ط تونس 1934 (1350)

(رحلة التجانى) (فى البلاد التونسية وطرابلس) لعبد الله التجانى ط تونس 1958

مصنفات وابحاث باللغة الفرنسية :

(الاستيلاء الاسلامى على صقلية) ط تونس 1905
(امتزاج العناصر التى يتألف منها الشعب التونسى ـ ط تونس 1917
تقدم الموسيقى العربية بالمشرق والمغرب والاندلس ط تونس 1918
(مشاهد عيان لفتح الاندلس ـ ط تونس 1932
منعرج فى تاريخ الاغالبة (ثورة الطنبذى) ط تونس 1937
بحث دينارين نرمانيين ضربا بالمهدية ـ ط تونس 1930
مدائن اضمحلت من البلاد التونسية ـ ط باريس
الجهة الوسطى من البلاد التونسية (قمودة) فى القرون الوسطى ـ ط تونس

تابين الاستاذ وليم مرسى بتونس ط ـ تونس

هذا عد ما نشر من الفصول فى (دائرة المعارف الاسلامية) بالفرنسية وكذا من الابحاث فى المجلات العلمية والادبية فى المغرب والمشرق وفى اروبا »

◆ ما نشرته «الفكر» للمؤرخ الفقيد حسن حسنى عبد الوهاب :

ننشر على سبيل التذكير ما ساهم به المؤرخ ح٠ ح٠ عبد الوهاب فى مجلة الفكر من بحوث ومقالات :

- العمران العربى فى افريقية التونسية (السنة الثانية ـ العدد 6 ـ ص 2)
- رواة اللغة والأدب بافريقية فى العصر العربى الأول (السنة الثانية ـ العدد 8 ـ ص 37)
- الطب العربى فى افريقية (السنة الثالثة ـ العدد 10 ـ ص 7)
- التيفاشى القفصى (السنة الرابعة ـ العدد 9 ـ ص 4)
- النهشلى (السنة الرابعة ـ العدد 10 ـ ص 5)
- المصاهرات بين افريقية والعراق (السنة السابعة ـ العدد 4 ـ ص 2)
- مذاهب الشعر فى كلام الأعراب ـ 1 ـ (السنة الثامنة ـ العدد 10 ـ ص 19)
- مذاهب الشعر فى كلام الأعراب ـ 2 ـ (السنة التاسعة ـ العدد 1 ـ ص 7)
- مكنى أم مكنينى (السنة التاسعة ـ العدد 2 ـ ص 10)
- شهامة النساء القيروانيات (السنة الثالثة عشرة ـ العدد 1 ـ ص 3)

رحم الله الفقيد ورزق أهله والعائلة الثقافية الصبر والسلوان ٠ وأسرة الفكر ، إذ تعزى نفسها وقد كان الفقيد عضوا من أعضائها لا ينقطع عن المساهمة بمقالاته ودراساته منذ تأسيس المجلة ، فهى عازمة على أن توفى المؤرخ حسن حسنى عبد الوهاب حقه من التعريف والدرس ٠

◆ الاستاذ بلات فى تونس :

زار المستشرق الكبير شارل بلات تونس فى الايام الاخيرة ٠ وهو الاستاذ والباحث الفرنسى الذى عرفه أهل العربية بدراساته حول الجاحظ وتحقيقاته لآثاره ٠

وقد أجرت صفحة أدب وثقافة من جريدة العمل الصـادرة يوم الجمعـة 25 اكتوبر 1968 حديثا مع المستشرق الكبير تناول مواضيع عديدة منها الجـامعة والطلبة ومشاكل العربية وخصائص الادب النسائي والادب الجزائري • كما تفضل الاستاذ بابداء رأيه في الادب التونسي فقال :

« إن مجلة الفكر قد أصبحت بحق الممثلة الاولى للادب التونسي وهي على مستوى مشرف ولأعبر لك عن شدة تعلقي بها أعلمك بأني وافقت على موضوع بحث جامعي سيحاول صاحبه أن يحدد فية الاتجاهات الشعرية خلال السنوات العشرة الاولى من حياة « الفكر » » •

وتحدث المستشرق شارل بلات عن الكتب في تونس فقال : « إنه ينتظر رائعة أدبية » •

ونحن لا يسعنا إلا أن نشكر الاستاذ على حسن ظنه بالعمل الذي تقوم به مجلة « الفكر » لتمثيل الادب التونسي وإظهاره حيـا ناميـا في اطـراد كما أننا نشكره على تفاؤله وإيمانه بأن هذه التربة قادرة على أن تنبت الروائع •

• **مجلة « اللقـاء » :**

ورد علينا من المغرب الاقصى عددان من مجلة « اللقاء » التي تصدرها وزارة الدولة بالمملكة المغربية وهما حافلان بالدراسات والمقالات حول التاريخ والادب والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والسياسة والتربية •

• **مجلة « جوهـر الاسـلام »**

صدر العدد الرابع من مجلة « جوهر الاسلام » التي يديرها الاستاذ الشيخ الحبيب المستاوي • وهذا العدد حافل مثل الاعداد التي سبقته بالمقالات في الدين والادب • نتمنى للمجلة النمو وطول العمر •

• **منزلة الشاعر العربي المعاصر :**

كتب الاديب المعروف زكي المحاسني مقالا بمجلة « الكتاب العراقية » العدد الثاني من السنة الرابعة تحت عنوان : « قيمة الشعر المعاصر » فأثار مسألة إهمال الشعراء المعاصرين وتنكر الجمهور لهم في بلاده فقال :

وتمضي ديار الشام بسـوق الادب في همـة وتحفـز وأسـال نفسي أين دواوين شعرائنا الافذاذ ؟ ان بعضا منهم نشروا طوائف من شعرهم فبذلوا في

نشرها مالهم • ولم يتقدم اليهم وسيط ينسيهم تعب السنين فى صوغ ذلك الشعر الجميل • وظل الآخرون وقد اسن منهم من اسن • وكاد يجتاز الكهولة من يتهيأ لها ، وليس لاحد منهم ديوان شعر مطبوع • ولو جئت تسألهم عن شعرهم لحيروك ثم احزنوك فان فريقا منهم لا يعرف اين مصير شعره • انه موزع فى الصحف والمجلات • وآخر جمع منه قصاصات ضاع أكثرها ، وثالث طلع على الناس بشعر رائق ثم جفاه واطرحه ، ورابع راح يبحث عن شعره الضائع وليس عند احد منهم مجموع مرتب حسب السنين ينام فى مخطوطة فهو ينتظر يوما تطلع عليه فيه شمس المطبعة • ولا كتب احد منهم تاريخ حياته بقلمه ، ولا كتبها له احد ، ولست ادرى ما ينتظر هـؤلاء من ضيعـة الآثـار وتشتت الاخبار • ولولا ان بعضا منهم قد كتب لهم ان تطبع بعد موتهم آثارهم لما وجدت فيهم عزاء •

وانى لعذيرهم ، فلقد أحس جراحهم ، وأعرف مواجعهم جميعا ، أن قولتهم الواحدة هى هذه الكلمة ، هات من يقدر الادب •

كذلك انطوى شعراؤنا على انفسهم ينفسون كربهم بين عام وعام بقصيدة أو بتأليف كتاب فى الادب ، أو نشر مقالات فى الفـن أو بعث مخطـوط من سباته العميق • ويظل الناس على جنوحهم فى الانصراف عن أدب المعاصرين الى آثار الاقدمين • فهم ابدا ينظرون الى الوراء ، وينتظرون ان يطبق المـوت جفن الاديب المعاصر ليضموه الى اسمـاء الغـابرين ، وحين ذلك يقبلون على آثاره ، ويبحثون فى اخبـاره ، وليس له من ذنب ، وليس لهم من عـذر الا ان الموت طبع على اسمه بميسم الرصاص الخالد ، وكم كنت اتمنى ان اعلل هذه الظاهرة النفسية حتى اهتديت الى تعليل لست ادرى ان كان علمـاء النفس سيقروننى عليه أو يخالفون عن تفكيرى فيه وهو ان الاحيـاء متحـاسدون فالاديب يحسد مثيله والشاعر ينفس على ضريعه سعادته ولو نال مثلها ــ وكم يرن فى سمعى صوت آت الى من اعماق العصور هو صوت أبى الطيب المتنبى حيث يقول :

ولـو انى حسـدت عـلى نفيس ... لجـدت به لـذى الجـد العثـور
ولكنـى حسـدت عـلى حيـاتى ... وما خير الحيـاة بـلا سـرور

وكيف بالاحياء الحاسدين ان يكرموا المحسود الحى • لكنه اذا مات وصار رهن العدم اقبلوا على تكـريمه بين محب ومبغض لان المـوت يغسـل الادران ويطهر الانسان •

وكم يشوقنى ان يحظى العباقرة بتكريم آثارهم وهم احياء يرزقون •

• **جـولـة الفكـر :**

جاء فى جريدة « الاخبـار » القـاهرية الصادرة فى 9 نوفمبر 1968 عرض لمجلات عربية ثـلاث (البيان الكويتية والمعرفة السورية والفكر التونسية) بقلم : نعمان عاشور ٠

احببنا ان ننقل فى هذا الركن لقرائنا القسم الخاص بمجلة الفكر :

هذا عرض لثلاث مجلات أدبية ٠٠ تصدر فى بلاد عربية مختلفة ، ولكنها ذات طابع واحد ٠٠ لان كلا منها على قدر ما وعيت ٠٠ هى المنبر الذى يعبر عن أدباء كل بلد ، وهى تشبه فى عمومها ٠٠ مجلة الرسالة او الفكر المعاصر ٠٠ وربما مجلة المجلة ٠٠ وذلك من ناحية الاهتمامات وربما الى حد كبير اختيار الموضاعات ٠٠ والمتجه ٠٠ وأيضا التبويب ٠٠ وتختص جميعـا . . بنشـر المقالات التوجيهية عن الادب ٠٠ والنقد الادبى ٠٠ ومختارات من احدث قصائد الشعر ٠٠ والقصة ٠٠ والمسرحية ٠٠ ثم الدراسات والبحـوث النظـرية . . وعرض للكتب الجديدة وهكذا ٠٠

ومجلة الفكر تمتاز بانها منسقة فى تبويبهـا وتغطى الكثيـر من الابـواب الادبية ٠٠ لكنها لا تتمسك بالطابع الادبى الخالص ٠٠ وانما تجنح الى المجـال الثقافى العام ٠٠ وفيها ابواب للشعر والقصة والنقد ٠٠ ومقالات متعددة فى موضوعات التعليم والآثار وعلم النفس والتاريخ ، وتهتم كالمعرفة ٠

هذه صورة مبسطة للاعداد الاخيرة من المجلات العربية الثلاث التى أتيـح لى قراءتها ٠٠ وكم أتمنى لو اهتم اخواننا الادباء والشعراء والخالقون بتتبعهـا كمنابر حية معبرة عما يعتمل داخل أوطاننا العربية من تفتح أدبى وفكرى ٠٠ ثم لماذا لا تحرص جمعية الادباء عندنا على خلق صـلات دائمـة مع مثـل هذه المجلات تحقيقا لما رسمه مؤتمر الادباء الاخير المنعقد فى القاهرة ٠٠ وما اصدره من بيانات اظنها لا تزال حبرا على ورق ٠٠ حتى ولو كانت قد طبعت ٠٠

« **الفكـر** » : نشكر الزميل على هذه المشاعر ونشاطره اقتراحاته ونرجو أن يولى الادبـاء فى المشـرق ـ وخاصة فى الشقيقة مصر ـ كل عنايتهم بما ينشر بتونس ونحن لا نزال حريصين على توثيق الصلة بين الادباء التونسيين وبين اخوانهم فى كافـة البـلاد العربية خدمة للفكر العربى ٠